

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٢٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

المرسلة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المنول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

المنطقة المحفلة - القاهرة

ن رقم ٤٢٣٩٠ م ٥٢٤٥٥

السنة الخامسة

القاهرة في يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٥٦ - ٢٢ مارس سنة ١٩٣٧

العدد ١٩٤

جميل صدق الزهاوى

بمناسبة ذكره الأولى

(٣)



كأنما تفتح عقل
الزهاوى قبل أن يتيقظ
هواه ، وحلق فكره
قبل أن ينهض خياله ،
وادر كعله قبل أن
يولد شعره ! فلقد كان
يهدف للثلاثين من عمره
وليس له من أولمب
الشعر وحى ، ولا في
برناس الشعراء محل ؛ إنما
كان في صدر شبابه
ينظر في العلوم الفلسفية
والطبيعية ؛ وسيله إلى

ذلك ما ترجم من المقالات في الكتب والمجلات ، لأنه لم يعرف
من اللغات غير العربية والفارسية والتركية والكردية ، وكلها
لا تصل فكر الانسان بالطور ، ولا تنفع غلة الظمان إلى المعرفة .
ومع ذلك استبطن الزهاوى دخائل هذه العلوم بعقله النافذ حتى

فهرس العدد

صفحة

- ٤٤١ جميل صدق الزهاوى . . . : أحمد حسن الزيات
٤٤٣ حديث المال . . . : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
٤٤٥ قنبلة البارود لا بالاء المقطر : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٤٤٧ حمام فرعون . . . : الأستاذ حسن جلال
٤٥٣ الألفاظ العربية . . . : الأستاذ محمد اسماعيل النشائي
٤٥٥ الروايات الكنسية والصراية : الأستاذ محمد عبد الله حنان
٤٥٨ الطير والحسوان في الادب العربي والانجليزي . . . : الأستاذ غفرى أبو السعود
٤٦١ النفس وخلودها عند ابن سينا : الدكتور ابراهيم بيومي مذكور
٤٦٣ حديث الأزهار لالفونس كار : الأستاذ فليكس قارس
٤٦٤ هكذا قال زرادشت . . . : الفيلسوف الالماني فردريك نيتشه
٤٦٦ إحياء النحو . . . : الأستاذ عبد المنال الصيدي
٤٦٧ تاريخ العرب الادبي . . . : الأستاذ نيكلسون
٤٦٩ شاعر الاسلام محمد ما كف . : الدكتور عبد الوهاب عزام
٤٧٠ معنى الطائر الصداح (قصيدة) : الأستاذ علي الجارم بك
٤٧٢ ليك نابتة العراق : الأستاذ بشارة الحوري
٤٧٣ الفن المصري . . . : الدكتور احمد موسى
٤٧٧ السيد المتولي لوزارة المعارف - الصور الموزية في الفن المصري القديم
٤٧٨ كتاب جديد عن الاشتراكية الوطنية - حرب نيكوبوليس السليبية
٤٧٩ تمثال شيخ البلد .
٤٨٠ ملحمة عبق (كتاب) : الاديب حسن حبشي

وفكرة الشاعر خفية ، وسحرها في هذا الخفاء . فإما أن تدرس الطبيعة لتعرفها وتشرحها فتكون صاحب فلسفة ، وإما أن تدرسها لتقلدها وتصورها فتكون صاحب شعر . أما الخلط بين الفلسفة والشعر لأن الشاعر يدرس ظواهر الكون ، فكالخلط بين التصوير والتشريح لأن المصور يدرس بواطن الجسم

- كان الزهاوى كشوق حريصاً على متابعة العصر ومسايرة التطور ؛ ومنشأ هذا الحرص فيها طبع مرن يطلب التجدد ، وحس مرهف يألف التخلف . ويزيد الزهاوى أن الفخر يزهاه ، واليه يذهب به ، فيحب الثناء ويبغض النقد . فهو لفرقة من صفة القدم يسبق الشباب إلى التجديد ، ولنفوره من معرة الجلود يذهب بالرأى إلى التطرف ، ولطمعه في نباهة الذكر يجارى ميول الخاصة ويعارض هوى العامة . ومن ثم كان أكثر شعره تشجيعاً على الاستبداد بمهاجمة أهل الحكم ، وزيارة على الجلود بمحاربة أهل الدين ، وتحقيراً للتأخر بمصادمة مالوف الأمة .

والزهاوى بعد هذا وفوق هذا كان رسولا من رسل الفكرة الانسانية ، وبطلا من أبطال النهضة العربية . كان يهزج بأغاريد الفجر على ضفاف دجلة فتردد أصدائها الموقظة على ربوات بردى ، وخائل النيل ، وسواحل المغرب . وأدب الزهاوى وأمثاله هو الذى وصل القلوب العربية في مجاهل القرون السود بخيوط البهية غير منظورة ، حتى استطاعت اليوم أن تتعارف وتتآلف وتحالف ؛ ثم تسعى لتعود أمة كما كانت ، وتقوى لتصبح دولة كما يجب أن تكون .

معرض الزمان

عدد الرسالة الممتاز

ستصدر الرسالة على عاداتها عددها السنوى الممتاز بمناسبة العام الهجرى الجديد ، فى الأسبوع الثالث من المحرم . وسيكون بعون الله فاتحة لتطور جديد فى الرسالة نرجو أن يقع من قرائنا موقع الرضا .

ألف كتاب (الكائنات) فى الفلسفة ، وكتاب (الجاذبية وتعليلها) فى الطبيعة ، ذهب فيهما مذهبا خالف به أقطاب العلم وجهابذة النظر ، كقولهم : إن علة الجاذبية ليست جذب المادة للادة ، وإنما هى دفعها لها بسبب ما تشعه من الألكترونات . وسواء أنهض دليله أم دحض فانه يدل على النظر الثاقب والفكر المستقل . ورجاحة عقله هى التى حملته وهو فى ربيع العمر على أن يشرف على ظواهر الكون وحقائق الوجود من سماء فكره لا من سماء خياله ؛ والمعهود فى عامة الشعراء أن يكونوا على النقيض من ذلك . فلما هيأت له الاقدار الجميلة لرسالة الشعر كان فكره أقوى من خياله وأسمى من عاطفته ؛ والفكر والخيال والعاطفة هن ملكات النفس الأدبية الثلاث ، يصدر عنهن فيض القريحة ، ويرد إليهن إلهام العبقرية ؛ ولكن الشعر لا يهيمن عليه إلا الخيال والعاطفة ؛ أما حاجته إلى الفكر فمحدودة بمقدار ما يضيء لها الطريق حتى يأمن الضلالة . فالفكر للعبقرية بمثابة العين ، والخيال والعاطفة لها بمثابة الجناحين ، فإذا تغلبا عليه كان الشرود والزيغ ، وإن تغلب عليهما كان الجفاف والعقم ؛ ومن هنا جردوا أكثر ما قال أبو العلام وأقن ما نظم أبو الطيب من الشعرية . والزهاوى شاعر من شعراء الفكرة ، له البصيرة الناقدة واللفظة النافذة ، وليس له الأذن التى « تموصق »^(١) ، ولا القريحة التى تصنع . فاللفظ قد لا يختار . والوزن قد لا يتسق ، والاسلوب قد لا ينسجم ، ولكن الفكرة الحية الجريئة تعج بين الآيات المتخاذلة بعيج الأمواج المزبدة بين الشواطىء المنهارة

الزهاوى عقلية أفافة وحيوية دفاقة وطبيعة ساحرة ؛ وهذا التوثب الحماسى فيه هو الذى جعله يؤثر النظم فى تقييد خواطره . وهذه الحماسة قد تنفك أحيانا عن الفكرة لكلاهما أو ابتذالها ، فيذهب الشاعر ، ولا يبقى الفيلسوف ، ويكون الزهاوى مملوك كالألة تدور مليئة متزنة ما دامت على شىء ، فإذا نفدت مادتها على فجأة انطلقت تدور على الفارغ سريعة مضطربة ، ذلك لأن الفكرة الفلسفية هى المادة الأصلية فى شعر الزهاوى . وليس الشعر كله فكرة . وإنما هو فضلا عنها صورة يرسمها الخيال ، وشعور تبعثه العاطفة . على أن فكرة الفيلسوف واضحة ، وجمالها فى هذا الوضوح

(١) لamac فيها أطل من أن نشق هذا الدل من الموسيقى

حديث المال

بقلم ابراهيم عبد القادر المازني

جلسنا ثلاثة من الاخوان نتحدث عن المال وكيف ينال -
فقد مات زخاروف رجل الأسرار أو الظلام كما يسمونه وصار
ذكره على كل لسان ولهجت الصحف بملايته وأعماله الصحيحة
أو الموهومة وأخذ عنها الناس وراحوا يلغطون . وأحسب ان
لو كان زخاروف حيا واستطاع أن يسمع ما يروى عنه ويعزى
اليه لأذهله ذلك ويكفى أنه مامن ثورة أو حرب شبت في الخمسين
سنة الأخيرة الا وهو فيما يقال مضرم نارها

وقلت لصديق : « أما أنا فلست أعرف وسيلة للغنى الا هذه -
أفتح عيني في الصباح وأدس يدي تحت الوسادة لاتناول الساعة
وأنظر الى وجهها فأجد مكانها كوما عاليا من الأوراق المالية
الكبيرة . وعلى ذكر هذه الأوراق الكبيرة أقول - ولا غفر -
إني مارأيت ورقة بمائة جنيه الا مرة واحدة في حياتي . أم تراها
كانت بخمسين فقط . . . والله ما أدري . . . الحاصل . . . أعطيها
لأبديها وأخذ منها قدرا معينا وأرد الباقي فوضعتها في جيب
البنطلون وأبقيت كفي عليها خوفا من النشل وذهبت الى البنك -
المصرف كما لا يسمى - ولا أطيل . وحسبي أن أقول ان الرجل
كان ينظر الى نظرة من تحدته نفسه بأنه يحسن جزى حتى تجمي .
والنيابة . . . وصار معي عدد كبير من الورق فوضعت حتى في
جيب والباقي في جيب آخر انقاء للاختلاط والحاجة الى إعادة
العد والحساب . وقد تعلمان كرهى لهذا الحساب أو جهلى به على
الاصح . وجاء الليل - وكنت أعمل في ذلك الوقت في جريدة
صباحية ، فانا أعمل بالليل وأنام بالنهار - وتذكرت اني على موعد
مع صديق في الساعة الحادية عشرة وكنت جائعا فقلت أذهب
الى محل جديد في شارع عماد الدين وآكل لقمة أو اثنتين من
« السندويتش » ثم أذهب الى موعدى . وكنت قد وضعت
الأوراق في المحفظة - على خلاف عادتي - ولم يكن معي من النقود
الضغيرة غير قرش واحد . وحدثني نفسي وأنا آكل انه يحسن
ان أشتري شيئا من هذه الفاكة فان منظرها مفر ، فاخرجت جنيها

ولكن الزحام كان شديدا فكادت روحي تزحف ورأيت أن الأمر
سيطول فدست الجنيه في جيبى وانصرفت ولقيت صاحبي على
« القهوة » وعدت الى البيت فأحسست وأنا أخلع ثيابي ان
« الجاكت » خفيفة فنظرت فيها فاذا المحفظة قد طارت . أى والله .
قطع النشال الجيب بسكين أو موسى أو لا أدري ماذا وأخذ
المحفظة . . .

وعدنا بعد هذه الذكرى الالامية الى زخاروف والملايين
فقال أحد الصديقين : « لماذا لا نرى في الشرق ناسا يصبحون
أصحاب ملايين كما يحدث في الغرب كثيرا . . . »
فقال ثالثنا : « ان الغنى العريض الواسع يستفاد من الصناعة
والتجارة لا من الزراعة فانها محدودة وكل عمل لا يقبل التوسيع
والنماء المطردين لا يمكن ان تنجم منه ملايين ولا ما يقرب منها .
فقلت : « ولا تنس يا صاحبي ان الخطار في حكم المعدوم في
الشرق . ولا بد من المغامرة لطالب الثروة الكبيرة السريعة .
ولعل إخواننا العرب أعظم منا جرأة واقداما وأكثر استعدادا
للمغامرة . والمحقق أن المصريين اطلب للراحة والدعة والاطمئنان
على الرزق . وهم يرضون بالقليل اذا كفل لهم الاطمئنان
وقد كانوا الى بضع سنوات يعدون صاحب التجارة أحظ مقاما
من صاحب الزراعة وأحسب ان هذا لأن رزق الزارع مكفول
ولكن الرزق من التجارة على كف عفريت . واسمعوا هذه
الحكاية : لما عدت في العام الماضي من العراق جاءني صديق حميم
وذكر لي ان له صاحبيا يشتغل بصناعة الجلود وانه يرجو مني
المعونة ليحتكر جلود الأضاحي في موسم الحج في الحجاز فقلت له :
إني أعرف أن الحكومة العربية تكره الاحتكارات ولا ترضى
أن تظلم رعاياها على نحو ما ينبغي صاحبك ثم إني لا أستطيع أن
أستغل علاقتي بهؤلاء القوم ، ولكنني أشير بما هو خير من ذلك
وأجدي على صاحبك إذا كان عاقلا . . . واقترحت عليه أن يؤلف
صاحبه شركة مصرية عراقية لانشاء مصنع للجلود ومدبغة في
بغداد وقلت له : إني أستطيع بمساعدة إخواني في مصر والعراق
أن أقنع جماعة من العراقيين بالدخول في هذه الشركة . ولصاحبك
أن يدخل فيها بالقدر الذي هو في طوقه . والجلود في العراق
وفيرة ورخيصة ، وجلبها من البلاد العربية إلى بغداد أسهل وأقل

كل ما دخل في طوقى أن أكتب ، فهل أفدت إلا الغرور والنفخة
الكذابة والصيت الفارغ . . وإلا العداوات والخصومات التي
لا داعي لها . . لا ياسيدى . . وإني لمستعد أن أنزل لك عن
نبوغى وعبقريتي وخيالى الخصب ونشاطي الجهم ولا أطلب إلا
دكاناً صغيراً أقل في الطعمية ، في سيدنا الحسين أو السيدة
زينب أو في بولاق . . أقف فيه وأمامي المقلاة وإلى جانبي
الزيت - زيت الزيتون من فضلك - والفول المدقوق وعلى ثوب -
أيض نظيف وورائى الموائد مصفوفة وعليها الأباريق
والأكواب . وأصص الزهر هنا وهناك . والأرض مفروشة
بالرمل الأصفر ، فاني أريد أن أرقى صناعة الطعمية ، وأجعل
منها فناً . . نعم ، خذ أدبي كله وخلودى أيضاً إذا كانا يستحقان
شيئاً واعطنى هذا الدكان الصغير وزرني بعد ذلك وشرقي
بالأكل عندى وعلى موائد الأنيقة الجميلة واحسدنى يومئذ ،
وقنا صامتين لأن كلامى هذا لم يعجبهما . . ولو أعجبهما
لرجوت أن أقتعهما بهذه المبادلة . . ولكن لا بأس . . لا بأس . .
ولا بأس أيضاً فلن أعدم صناعة أخرى أهتدى إليها في يوم من
الأيام . والعمر الطويل يبلغ الأمل كما تقول العامة في أمثالها
الحكيمة التي هي عصارة التجارب الانسانية على الدهور
ابراهيم عبر القادر المازنى

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمتها : محمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشا

كلفة من جلبها إلى مصر ، أما الأسواق فعديدة . فهناك أسواق
العراق نفسها - والقوم هناك وطنيون عمليون يؤثرون صناعات
بلادهم ، والحكومة عظيمة التشجيع لها ولا أعتقد أنها تتردد في
أخذ حاجة جيشها من هذا المصنع إذا أنشئ . ثم ان هناك أسواق
جزيرة العرب وأسواق فلسطين وأسواق الشام وفي هذه البلاد
كلها يفضل الرجل مصنوعات بلاده فالمشروع لا شك في حسن
عائده ولا خوف من الخسارة فيه وأنا مستعد أن أطلق الصحافة
والآداب وأعمل معه وأقوم له بكل ما يستدعيه الحصول على
رأس المال أولاً واستيراد الجلود من الجهات المختلفة وتصريف
المصنوعات في أسواق الجزيرة والعراق وفلسطين وسوريا .
فاقترح هذا على صاحبك وانظر ماذا يرى . . ووقف الأمر عند
هذا الحد لأن في المشروع مخاطرة بالمال ١١ . ولست أدرى أين
المخاطرة ولكن هذا ما كان . وهكذا ضاعت على فرصة حسنة
للتحرر من رق الصحافة والآداب . .

فسألتى أحدهما : « أوتكره الصحافة والآداب ؟ »

« قلت : لا أكرههما ولكن أعمل فيهما كالخمار ولا أفيد منهما
إلا العناء . وإذا وسعنى أن أهجرهما إلا ما هو خير وأجدى
فلماذا لا أفعل ؟ وصدقنى حين أقول لك إنى لا أكف عن
التفكير في وسيلة للنجاة منهما . وقد خطر لى أن أتخذ جراجاً
ولكن الجراج ، لا يكون إلا محدوداً وأنا أريد عملاً يحتمل
التوسيع على الأيام . وخطر لى أن أتخذ مطبعة ولكنى رأيت
أن المنافسة الشديدة بين أصحاب المطابع توشك أن تؤدى إلى
خرابهم جميعاً . وخطر لى أن أكون بائع طعمية ، وهذا
لا يتطلب رأس مال يستحق الذكر ، واقتنعت بأن هذا خير
ما يمكن أن أصنع وأنه أحسن وجه للخلاص من الصحافة ،
فذهبت أبحث عن محل صالح ولكنى كنت كلما عثرت على واحد
واهتديت إلى مكان يمكن أن تروج فيه هذه البضاعة أجد أن
غيرى قد سبقنى . . ولكنى لم أقط من رحمة الله . . وما زلت
أرجو أن أوفق إلى عمل صالح غير هذا الأدب الذى لا فائدة
منه لأحد ،

فسألتى ثانيهما : « هل تتكلم جاداً ؟ »

قلت : « أى والله . لقد قرأت كل ما وسعنى أن أقرأ وكنيت

قنبلة بالبارود

لا بالماء المقطر^(١)...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كلمات ليست قوانين ، ولكنها ستكون هي السبب في إصلاح
القوانين .
قوة الأخلاق يا شباب ، قوة الأخلاق . إن الخطوة المتقدمة
تبدأ من هنا .

يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين ، فإن العلم
لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة .
يريدون قوة النفس مع قوة العقل ، فإن القانون الأدبي في
الشعب لا يضعه العقل وحده ولا ينفذه وحده .
— يريدون قوة العقيدة حتى إذا لم ينفعهم في بعض شدائد
الحياة ما تعلموه ، نفعهم ما اعتقدوه .
يريدون السمو الديني ، لأن فكرة إدراك الشهوات بمعناها
هي فكرة إدراك الواجبات بغير معناها .
يريدون الشباب السامي الطاهر من الجنسين ، كي تولد الأمة
الجديدة سامية طاهرة
قوة الأخلاق يا شباب ، قوة الأخلاق . إن الخطوة المتقدمة
تبدأ من هنا

أحس الشباب أنهم يفقدون من قوة المناعة الروحية بقدر
ما أهملوا من الدين
وما هي الفضائل إلا قوة المناعة من أضدادها ؟ فالصدق
مناعة من الكذب والشرف مناعة من الخسة .
والشباب المثقل بفروض القوة هو القوة نفسها . وهل الدين
إلا فروض القوة على النفس ؟
وشباب الشهوات شباب مفلس من رأس ماله الاجتماعي
ينفق دائما ولا يكسب أبدا .
والمدارس تخرج شبانها إلى الحياة ، قسأهم الحياة : ماذا
تعوّدتم لا ماذا تعلمتم ؟
قوة الأخلاق يا شباب ؛ قوة الأخلاق . إن الخطوة المتقدمة
تبدأ من هنا .

حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية ، لقد كتبتم الكلمات
التي تصرخ منها الشياطين ...
— كلمات لو انتسبن لا تنسبت كل واحدة منهن إلى آية مما
نزل به الوحي في كتاب الله .
— فطلب تعليم الدين لشباب الجامعة ينتمى إلى هذه الآية :
« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس » .
— وطلب الفصل بين الشبان والفتيات يرجع إلى هذه
الآية : « ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن » .
— وطلب إيجاد المثل الأخلاقي لهذه الأمة من شبابها المتعلم
هو معنى الآية : « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة » .
— قوة الأخلاق يا شباب ، قوة الأخلاق . إن الخطوة المتقدمة
تبدأ من هنا

حياكم الله يا شباب الجامعة ؛ لقد كتبتم الكلمات التي يصفق
لها العالم الإسلامي كله
كلمات ليس فيها شيء جديد على الإسلام ، ولكن كل جديد
على المسلمين لا يوجد إلا فيها .
كلمات القوة الروحية التي تريد أن تقود التاريخ مرة أخرى
بقوى النصر لا بعوامل الهزيمة
كلمات الشباب الطاهر الذي هو حركة الرق في الأمة كلها ،
فسيكون منها المحرك للأمة كلها

(١) دفع طلبة الكلمات في الجامعة المصرية إلى مديرتها وعمدتها وأساتذتها -
طلبا يلتزمون فيه إدخال التعاليم الدينية في الجامعة والفصل بين الشبان والفتيات
إذ لا إصلاح إلا بعد إصلاح روح الشباب النامق حتى يكون له من قوة روحه
وحمو أخلاقه سلاح يحارب به الرذيلة وينصر به الفضيلة . . قالوا : « ولا شك أن
الأمة بأسرها قد أحست بنفس الناحية الدينية في المجتمع المصري ، ونقص أخلاق
الفرع ووطنه تيمما »

وأحس الشباب معنى كثرة الفتيات في الجامعة ، وأدركوا معنى هذه الرقة التي خلقتها الحكمة خالقة .

والمرأة أداة استمالة بالطبيعة ، تعمل بغير إرادة ما تعمله بالارادة لأن رويتها أول عملها

نعم إن المغناطيس لا يتحرك حين يجذب ، ولكن الحديد يتحرك له حين يجذب .

ومتى فهم أحد الجنسين الجنس الآخر ، فهمه بإدراكين لا بإدراك واحد .

وجمال المرأة إذا انتهى إلى قلب الرجل ، وجمال الرجل إذا استقر في قلب المرأة .

هما حينئذ معنيان ، ولكنهما على رغم أنف العلم معنيان متزوجان

لا ، لا ؛ يا رجال الجامعة . إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أوربا وتقليد أوربا . ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوربا .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين . ومن الذي يحمل أنها بهذا صارت محلا لفوضى الأخلاق ؟

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية فلا حاجة إليه في الجامعة

أفترون الإسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ؛ أم تريدونه شجرة تفرس هناك لتُقلع عنكم . . . ؟

لا ، لا ؛ يا رجال الجامعة . إن قبلة الشباب المجاهد تملأ بالبارود لا بالماء المقطر

إن الشباب مخلوقون لغير زمك ، فلا تفسدوا عليهم الحاسة الاجتماعية التي يحسّون بها زمكهم

لا تجعلوهم عبيد آرائكم وهم شباب الاستقلال إنهم تلاميذك ولكنهم أيضا أساتذة الأمة .

لقد تكلم بلسانكم هذا البناء الصغير الذي يسمى الجامعة . وتكلم بالسنتهم هذا البناء الكبير الذي يسمى الوطن .

أما بناؤكم فحدود بالآراء والأحلام والأفكار ؛ وأما الوطن فحدود بالمطامع والحوادث والحقائق .

لا لا . إن المسلمين الذين هتدوا العالم ، قدهوه بالروح الدينية التي كانوا يعملون بها لا بأحلام الفلاسفة

لا لا . إن الفضيلة فطرة لا علم ، وطبيعة لا قانون ، وعقيدة لا فكرة ؛ وأساسها أخلاق الدين لا آراء الكتب

من هذا المتكلم يقول للأمة : الجامعيون لن يقبلوا أن يدخل أحد في شئونهم مهما يكن أمره . .

أهذا صوت جرس المدرسة لأطفال المدرسة ؟ : ترين ترين فيجتمعون وينصاعون ؟

كلا يا رجل ، ليس في الجامعة قلب يصب فيه المسلمون على قياسك الذي تريد .

إن التعليم في الجامعة بغير دين يعصم الشخصية ، هو تعليم الرذيلة تعليمها العالي

ويستنبئونك أحق هو قل إى ورنى إنه الحق وما أنتم بمعجزين . . .

قوة الأخلاق يا شباب ، قوة الأخلاق . إن الخطوة المتقدمة تبدأ من هنا .

(طابعا)

عن محمد قريش

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة الرسالة ،

المن ١٢ قرشاً

ولم يكن له من حافز ظاهر إلى الاشتراك في الرحلة غير ميله إلى الرياضة ، أما أن أمثال هذه الرحلة قد تساعده على تنمية معلوماته عن الصحارى المصرية وطرقاتها فهذا حديث آخر لا محل للخوض فيه الآن ، وللقارىء أن يستتج لنفسه ما يشاء . . .

هؤلاء هم أشخاص الجماعة
أما النبع نفسه فقد سمعت أنه ينبع حار يخرج من الصخر ، ويصب في مياه البحر الأحمر . وأنه ينبع (مكبر) كالنبع الذى فى حلوان . والفرق بين الاثنين أن هذا بارد . أما حمام فرعون فهو يخرج من بطن الجبل شديد الحرارة حتى تلتقى السمكة فى مائه الدافق فتتضج فى دقائق معدودات . وعلت أيضاً أن كهفا يقوم إلى جانب النبع . إذا دخله الإنسان فإنه لا يطيق البقاء فيه أكثر من ربع ساعة لفراط حرارته وشدة ما يعانى الإنسان وهو بداخله من الوهج الذى ينفسد له الجسم عرقاً . وقيل لى إن من دخل هذا الكهف وهو يشكو الرطوبة ، فإنه لا يلبث أن يخرج منه كما ولدته أمه صحة وعافية . أما العين فإنها وإن خرجت من ينبوعها حارة شديدة الحرارة إلا أنها تجرى على شاطئ البحر مسافة طويلة قبل أن تصب فيه . وأنها فى مجراها هذا تتفاوت حرارتها . فهى تبدأ حارة لا تطاق ثم تتناقص حرارتها كلما ابتعدت عن أصل النبع ، حتى إذا جاءت ماء البحر وصلت وهى فاترة يطبقها كل إنسان . وقال لى من كان يحدثنى عنها : وإذا كانت مياه حلوان قد بلغت ما بلغت من الشهرة العالمية وهى باردة يرفعون حرارتها بأنابيب البخار ، فلك أن تصور لنفسك مبلغ ما تتنازبه هذه العين وهى تخرج من بطن الأرض حارة حرارة طبيعية لم تتدخل فيها يد الإنسان . وناهيك بحمام من مائها تعقبه خلوة قصيرة فى ذلك الكهف الذى يليها . . . إن الإنسان ليدخلها ثم يخرج من الكهف بعدها كما يدخل المندبل القذر فى يد (الغسالة) ثم يخرج جافاً ناصعاً من عند (الكواء) !

وكان لى صاحب من ضباط البوليس أرتاح إلى صحبته فعرضت عليه رغبتي فى الاشتراك فى تلك الرحلة فتولى عنى مفاوضة الجماعة فى أمر انضمامنا إليهم . وعاد يبشرنى بأنهم يرجون

حمام فرعون

للاستاذ حسن جلال

علت وأنا فى مدينة الاسماعيلية بأن جماعة من رواد الجبال — سبق لهم القيام برحلة إلى عين كبريتية فى جبل من الجبال التى فى جنوب مدينة السويس ، وأنهم يعاودون التفكير فى تكرار هذه الرحلة ويتهاون لها ، فهفت نفسى إلى الاشتراك معهم لهوى قديم يبنى وبين تلك الجهات كان يدفعنى منذ سنين إلى أن أقضى سحابة يوم الجمعة من كل أسبوع متقلباً بين ربوع جبال القاهرة وضواحيها .

وكانت تلك الجماعة تتألف من :

- ١ — أحد أعضاء مجلس النواب وشيخين من أقاربه .
 - ٢ — ومن تاجر من كبار تجار الاسماعيلية
 - ٣ — ومن تاجر آخر من عيون تجار القاهرة
 - ٤ — ثم من رجل أجنبى من رجال الاعمال إيطالى الجنسية ، مزارع واسعة فى حدود مدينة الاسماعيلية .
- فأما عضو النواب وقريباه فكانوا يشكون الروماتزم ، وكان هذا هو الذى يحفزهم الى ارتياد تلك العين ، فإن لها على ما يقول ناس خواص سحرية فى شفاء الامراض .
- وأما تاجر القاهرة فقد سمع بحديث تلك العين من النائب ناغراه ذلك على أن يجرب سحرها فى أوصله .

وأما تاجر الاسماعيلية فكان على ما فهمت رجلاً لا يحتاج إلى الاستشفاء لا بالحار ولا بالبارد ، وكل همه فى الحياة أن يجلس — آخر النهار فى بعض المقاهى وزجيلته بين ركبتيه يمحصها فتقنه له حتى تنقطع أنفاسها فيخليها لصاحبها ويعود إلى داره راضياً مرضياً ، وكانت الأسباب كلها منقطعة بينه وبين تلك الرحلة لولا أن له سيارة جميلة أحب صاحبنا النائب أن يضمها إلى القافلة فدعاه للاشتراك فلى الدعوة .

وأما التاجر الإيطالى فكان هو عماد الرحلة وبطلها لأنه كان قائدها الذى يدها على الطريق فى وسط الأودية المهجورة والجبال المتشابهة ، يعاونه على ذلك دليل بدوى من يعملون فى مزارعه ،

بنا على شرط أن نكون ضيوفهم في الحل والترحال ؛ وتذلت بذلك آخر عقبة كنت أتوهم أنها تعترضني في سبيل تحقيق رغبتي لأنني لم تكن لي سيارة خاصة . وليست أمثال هذه الرحلة الطويلة مما يهون فيه الحصول على سيارة بالأجرة . وتحدد موعد القيام بعد يومين من إبرام هذا الاتفاق على أن نجعل قيامنا بعد الفجر بقليل في اليوم المحدد . ولم يبق أمامي إلا أن أتولى إعداد توافه الأمور التي تركها لي مضيئي كالمناشف التي تلزم لتجفيف عرق وأنا في داخل الكهف . والغطاء الذي أتدثر به عند مبيتهم على شاطئ البحر في العراء . على أني أبيت إلا أن أستصحب معي سراً بعض المرفهات التي أعلم أنها لم تكن لتخطر لزملائي على بال . فدسستها في حقبتين بغية أن أفاجئهم بها هناك وسط الصخور والجبال . وكانت عندي (ترامس) ثلاثة يسع كل واحد منها لترأ من الماء . فحلتها جميعاً بالماء المثلوج — ونسيت أن أقول إن الوقت كان في بداية الصيف — وعطرتها بماء الزهر وأخفيتها في الحقيبة كما أخفيت معها آلة تصوير لالتقط بها بعض المناظر التي تخلد ذكري هذه الرحلة . وقد دلت كل الدلائل على أنها ستكون رحلة عامرة بالذكريات التي تستحق التخليد . ولست أحتاج أن أقول إن زملائنا كانوا قد صارحونا بأنهم سيحملون عنامونة تزويدنا بالماء والطعام . فلما سألت عما إذا كانوا سيحملون هذا الزاد من الاسماعيليه أم من السويس قيل لي إن العرب الذين سنصادفهم في الوديان خلال الجبال كلهم رعاة أغنام . ونستطيع أن نحصل منهم على مائشاه من ضأن وماعز . كما أن البحر هناك مرعى بكر يزخر بألوان السمك . والوديان لا ينقطع منها الماء الجاري . ورجال البدو لا يلبثون أن يحتاطوا بنا ويتنافسون في خدمتنا . فكنت أستمع لهذا الحديث وأرسل أحلامي على سجيبتها لتم بألوانها الساحرة بقية تلك الصورة الخلابه التي لبثت يومين كاملين وأنا أسعد بالقلب بين أعطاف خيالاتها

وأخيراً حل اليوم الموعود ، وكنت على أتم أهبة للرحيل قبل بزوغ الشمس ، وأقبلت السيارات تناديني بأبواقها ، فنزلت فاذا سرب طويل منها يضم أصحاب جميعاً ، فاستقلناها قاصدين إلى السويس ؛ والطريق مابين الاسماعيليه والسويس طريق جميل

مهد أعدته في السنوات الأخيرة شركة قناة السويس ليكون متعماً للطريق القديم الذي يوصل مابين الاسماعيليه وبور سعيد . وهذا الطريق يسير إلى جانب القناة ويتمتع السائر فيه بمناظر بحيرة التمساح والبحيرات المرة الكبرى والصغرى التي تمتد على يساره ، بينما تقوم الحقول الخضراء على يمينه وهي حافلة بالأكوخ الصغيرة الساذجة ، وبألوان شتى من المواشي والأغنام ، وكلها دائبة في رعي تلك المروج الناضرة البهیجة . ووصل الركب محطة الكوبري ، حوالى الساعة السابعة صباحاً . وهذه المحطة تقع في شمال السويس ، وعلى بعد ثمانية كيلومترات منها . وعندها تقع « المعديه » التي ينتقل عليها المسافر من شاطئ القتال الغربي ، إلى شاطئه الشرقي — أو من شاطئه الأفريقي إلى قرى شاطئه الآسيوي كما يقولون — فاضطررنا إلى الوقوف هنا ريثما يقوم عامل « الجرك » بتفتيش أمتعتنا . وقد عجبت لهذا العمل ونحن إنما ننتقل من أرض مصرية إلى أرض مصرية . فلما استفسرت عن السبب علمت أن المنطقة التي نريد أن ندخلها خاضعة لمصلحة الحدود . والنظام الإداري في تلك المصلحة يكاد يكون مستقلاً عن إدارة الحكومة المصرية . وأنه محظور على من يريد دخول الصحراء في تلك الجهة أن يكون معه سلاح ناري تنفيذاً لأمر المصلحة الذي يقضى بعدم صيد الغزال مثلاً في تلك المنطقة . كما أنه من المحظور أيضاً أن يحمل المسافر معه آلة تصوير حتى لا يسجل بها مناظر ترى المصلحة أنه من الواجب المحافظة على سريتها . وكانت النتيجة الأولى لوقفنا هذه في محطة الكوبري ، أني خسرت آلة تصويري ، لأنني اضطررت إلى تسليمها من تلقاء نفسي ، وبذلك ضاعت على فرصة إحدى المفاجآت التي كنت أدبرتها للاخوان . على أن هذه لم تكن خسارتي الوحيدة . فقد بدأ لبعضنا أن يتناول وجبة خفيفة في ذلك المكان تكون بمثابة الفطور لمن فاتته الافطار في منزله . وكنت أنا من هؤلاء . فأردت بعد لقيات ازدردتها أن آخذ جرعة من الماء ففهممت بتناول واحد من (ترامسى) ولكن سبقتني إليه يد أحد الزملاء الكرام يريد أن يبالغ في الحفاوة بي فلا يدعني أقوم بهذه الخدمة الهينة لنفسي فراعني إلا أن أراه يملأ كوب الترموس من مائه المعطر المثلوج ثم يهزه في يده هزات يريقه من بعدها على الأرض كما لو كنا

السيارة المتخلفة تقاسي كثيرا قبل أن تلحق بالقافلة وتمسك معها بطرف الطريق . وتكررت حوادث فقد الطريق ونحن بالوادي، ذلك لأن الطرق فيه متشعبة فكان المتخلف عرضة لأن يتبع آثار عجلات غير عجلات سيارتنا كلما غابت عن نظره بقية القافلة . وكم وقفنا وأطلقنا أبواقنا ليهتدى على صوتها من نفتقده من الزملاء . وكم كررنا نحن راجعين في مسلك وعر كنا قد تشهدنا عندما اجتزناه ، فلما فرغنا منه وجدنا أننا قد ضلنا الطريق .

• • •

وأخيراً خرجنا من هذا الوادي وعدنا إلى الصحراء من جديد . ولكنها كانت في هذه المرة صحراء نافرة صخرية يكتنفها جبل عظيم أبيض اللون ناصعه تجوس في سفحه عربات صغيرة وتذب معها نمل بشرية تترامى من بعيد كأنها بعض هوام الجبل أو زواحفه . وسألت فعلت أن شركة إيطالية قد حصلت من الحكومة على امتياز لاستغلال هذا الجبل وأنها تحصل منه على نوع من الرخام النادر تصدر معظمه إلى باريس بالذات دون بلاد العالم لكثرة الحاجة إليه في مبانيها الأنيقة الحديثة . وأن هذه الشركة قد أثرت من وراء هذا العمل ثراء طائلا . فأجبت أن نقف قليلا لنصل بعالم هذا الحجر وتحدث اليهم ففسرى عن أنفسنا ونسرى عنهم . وفي أمثال تلك البقاع النائية يصدق قول القائل : وكل غريب للغريب نسيب !

وكانت حالة السيارات تقتضى هذه الوقفة أيضاً ، فإنها كانت قد شربت كل ما معنا من الماء وكانت في حاجة أيضاً إلى الماء . فترجلنا لنملأ صهاريجها ، واتجهت وبعض من معى إلى أولئك العمال فاذا هم جميعا من أهل الصعيد - تلك الطائفة النيلة التي شيد أجدادها مجد الفراعة وخلدوا آثارهم في وادى الملوك وغير وادى الملوك ، وها هو ذا الخلف اليوم لا يجد من يستجد بكتفه وذراعه غير الأجني فيلبى دعوة القوت وسط تلك الأصقاع السحيقة القاحلة يقضى عمره ويفنى حياته في قطع الرخام وحمله ليجده في آخر النهار ما يسد به رمقه . ولينعم حسان باريس بالروثق البهى والرواء الحسن . وليقف المفاول الايطالى بين الطرفين يستغل جهد المصرى وثراء الباريسى في آن واحد . وأردت أن أعرف من أين يحصل هؤلاء العمال على الزاد

نستقى من (زير) بجوار سوق في إحدى قرى الريف ، فهو يريد أن يكفل نظافة (الكوز) مما يكون قد علق به من الغبار وأردت أن أعوض ماشرته الأرض من مائى العزير فاقصدت في الجرعة التي شربتها واكتفيت منها بمصتين لأنى كنت أقدر مانحن مقبلون عليه من الجفاف والجذب . ولكن حلا لبقية الصخب أن يستقوا فأدار الساقى عليهم من أكوابى ، ودخلت الصحراء بنصف ما كنت تزودت لها به من الماء . وكانت هذه خسارتى الثانية في مستهل الطريق

وحملنا (المعدية) بسياراتنا فقلطنا إلى الشاطئ الشرقى . وبدأنا عقب ذلك رحلتنا الشاقة في وسط الصحراء حيث لا شيء إلا الحصى والرمال في طريق متشابهة لا أثر فيها لأى نوع من أنواع الحياة . ولبثنا نضرب في تلك البداء حتى أدركنا الظهر - ولكنها على كل حال كنا نسمر بمختلف الأحاديث - وكان الذين سبقونا إلى ارتياد هذا الطريق لا يضنون علينا بشرح ما يعرفونه من معالم ، وأحيانا أيضاً بشرح مالا يعرفون استجابة منهم لنداء تلك الغريزة العجيبة التي ركبت في كل نفس والتي تجعل صاحبها يلتذ أن يتظاهر بالعلم أمام من لا يعلم !

وكانت سيارة الايطالى في مقدمة الركب . وقد قبع الدليل البدوى على مقدمها ليلجأ إليه صاحبه كلما أعوزته المشورة في أمر الطريق . وفي النهاية لاحت لنا أشجار الطرفاء ، التي تزين (وادى الغراندل) وهو واد واسع يكثر فيه النخيل ولا ينقطع منه الماء طول العام . وبدأنا نرى الناس من جديد بعد أن كنا نظن أننا انقطعنا عن العالم - ولكن بالهم من ناس ... لقد كانوا أشباحا في أمثال ... أجسام رقيقة مديدة ضميرها الجوع . وعيون فاترة غائرة أطفأها الفقر والجذب . كانوا يحيطون بنا ويعدون إلى جانبنا ويلاحقوننا كما كانت تفعل جنادب الوادى الذى يعيشون فيه . أما سيارتنا فكانت عند اجتيازها لهذا الوادى تجرى فوق مياهه . إذ لم يكن أمامنا طريق أخرى غير بطنه ، فكانت أشبه بالزوارق البخارية منها بالسيارات . ولقد عايننا كثيرا ونحن نجتاز هذه المرحلة من طريقنا لأن الماء كان يتسرب إلى داخل آلات السيارة كلما أدركنا مخاضة بعيدة الغور نوعا ما . وكان الوبل للسيارة التي يصيبها ذلك ، لأن الركب ما كان ليقف لأمثال تلك الأحداث ، فكانت

والماء — ولعل الباعث الحق لسؤال كان حرصى على الاطمئنان على نفسى ومصيرها فى هذا القفر قبل أن يكون إشباع حب الاستطلاع فيها عن حالة هؤلاء المساكين — قفيل لى بأن باخرة تقدم من السويس كل شهر تقريباً فتحمل اليهم الزاد والماء الذى يكفيهم حتى موعد الزوررة التالية ، فبدت على أنا وزملائي علامم الاشفاق والرثاء . ولكن جرننا الحديث إلى ذكر المناثر التى تقع على شاطئ البحر الأحمر التى تضم كل واحدة منها ثلاثة من الموظفين المصريين فى حالة عزلة تامة عن العالم لمدة تسعة شهور ، إذ أن كل منارة من هذه المناثر يديرها أربعة من الموظفين يعمل كل واحد منهم تسعة شهور متتالية فى العام ويحصل على أجازة سنوية تستغرق الثلاثة شهور الأخرى . ولذلك فإن ثلاثة منهم فقط يجتمعون فى العمل ويكون الرابع فى إجازته ، حتى إذا عاد هو قام من يكون عليه الدور وهكذا . وأن الواحد من هؤلاء الموظفين متى استلم عمله فى منارة فإنه ينقطع عن العالم وأخباره حتى يحل موعد وصول الباخرة التى تأتيم بالطعام والماء مرة فى كل شهر . وهم من خلال هذا الشهر لا يقرأون الصحف ولا سبيل لهم إلى معرفة ما يكون قد مر على العالم من أحداث ، وما يكون قد طرأ عليه من حروب . وعجبت من شأن الحكومة مع هؤلاء الناس ومن شأنهم هم مع أنفسهم . فانا أصبحنا اليوم نسمع الراديو فى السيارات الخاصة وهى تسير وسط الطرقات العامرة الزاخرة ، ثم ها نحن أولاء نسمع من أمثال هذه المناثر التى تترك بغير جهاز ولا صفير من هذه الأجهزة الكفيلة بأن تنقل أهلها من عزلتهم فتضعهم فى وسط العمران والحياة

كان بيننا وبين (حمام فرعون) ونحن فى ذلك الحجر بضع كيلومترات قد لا تزيد على خمسة أو ستة ، ولكن ما كابدناه فى قطع هذه المرحلة القصيرة فاق كل ما لاقيناه فى طول الرحلة منذ بدايتها ، ذلك بأن الطريق كان قد انقطع عند الحجر ، وأصبح علينا بعد ذلك أن نسير فى أرض بكر لا تطرقها السيارات إلا كلما حلا أمثالنا أن يزور ذلك المكان ، وهو نادر قليل ، وكانت طبيعة الأرض فى تلك الجهة جامعة نافرة ، فبيناهى صلبة فى بعض نواحيها إذا هى رخوة تغوص القدم فى رمالها فى نواحيها الأخرى

وكان فى انتقال السيارة من الصلب إلى الرخو ثم من الرخو إلى الصلب ما فيه من إجهاد للسائق وللراكب والآلات نفسها ، وذلك لما تستدعيه طبيعة كل ناحية من تغيير درجات السرعة وتحريك رافعات السيارة واحدة بعد أخرى بما يناسب حالة الطريق وقد حدث أننا خسرنا فعلاً إحدى سيارتنا فقد انكسرت بعض آلاتها فى هذه التقلبات السريعة المفاجئة ، واضطررنا إلى التخلي عنها وسط الطريق بعد أن توزعت حمولتها على بقية السيارات فزادت فى عسر حركتها وتعريضها هى الأخرى للتلف ، وليس يفوتنى هنا أن أقول إن هذه السيارة بالذات كانت سيارة تاجر الاسماعيلية الذى لم يكن من سبب لأشراكه فى هذه الرحلة غير سيارته ، ولكن هكذا قدر الله فى لوجه أن يأتى أجل هذه السيارة فى تلك القعة الموحشة . وصدق الله العظيم و (ما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت) وقديماً قيل : إذا ما حام المرء كان يبلدة دعتة إليها حاجة فيطير وقبل العصر بقليل ألقت القافلة عصاها فى سفح جبل عال كان يواجها ، وقيل لنا انزلوا : فهذا هو حمام فرعون ،

وثبت من سيارتى فرحاً وقد نسيت أمام بلوغ الهدف كل مالاقيه خلال الرحلة من مشقة . ولم أنتظر حتى يتقدمنى من له علم بالمكان . لأنى لم أكن رأيت فى حياتى قط عينا حارة . ولكنى كما هو الحال دائماً فى أمثال هذه الشئون كنت قد صورتها لنفسى بعين خيالى . وكنت شديد الشغف الآن بأن أقابل بين الحقيقة وبين الخيال . فما كان أشد الفرق بين الصورتين !

كنت أتصور النبع على صورة (الفسقية) ينبثق من وسطها خرطوم عال من الماء له رشاش من حوله ثم يتجمع الماء فى حوض حول العين ثم لا يلبث أن يفيض من الحوض إلى ذلك الجرى الطويل الذى حدثونا عنه . وكنت أتخيل هذا الجرى فى صورة قناة جميلة وسط صخور صلبة ينساب الماء فيها رائقاً صافياً كتلك القناة الجميلة البيضاء التى ما تزال آثارها باقية فى وادى خوف ، بحلوان والتى كنا نتناول فيها غداًنا كلما رحلنا إلى تلك الجهة . فادرت عيني بسرعة فيما يحيط بى أبحث عن تلك الفسقية أو عن هذه القناة فلم أجد لأجداهما أثراً ، فخاب ظنى لأول

المقادير إلا أن نأكله هو متبلاً بالتراب ومحشواً بصغار الحصى، ومع ذلك فقد كنا نحافظه وتنفس في التطويح بما نصيه منه إلى أفواهنا قيل أن تنفخ فيه ونندرو عنه معلق به من الرمال، فيا سبحان الله ! أهكذا يحلو المر أحياناً في هذه الحياة ! وماذا بقى لنا من الحقائق المطلقة في ديانا وكل شيء فيها اعتبارى كما نرى ؟ إلا أن الحسن إنما يكون حسناً في ظل رضا النفس، والقيح إنما يقبح بزوال هذه الحالة عن النفس ! والسعادة مهما اختلف الناس في أسبابها فهي من الكثير الغالب من صنع أيدينا وفي القليل النادر من صنع المقادير .

•••

ولم نهجع عقب الطعام بل انتشرنا في المكان نرتاده وننسلق الجبل وندخل الغار بأطراف رءوسنا ثم نخرجها سراعاً لكثرة ما ألقى في روعنا من أنه شديد الحرارة يذيب نخاع الرءوس . وقضينا على ذلك ساعة وبعض ساعة حتى أوشك النهار أن ينقضى فتأهبنا لأخذ الحمام المرتجى، وانصرف كل واحد منا إلى صخرة نوارى خلفها فخلع ملابسه . وارتدى قميص البحر . ولم تكن إلا هنية حتى استحال المكان إلى « بلاج » أتيق صغير بأولئك الفراغة الصغار الذين جاؤوا من أقصى الأرض ليحققوا للمكان اسمه ويؤيدوا له لقبه . وكان الأعرابي الذي مع الإيطالي قد احتمل فأساً وقصد إلى أوسع مكان في القناة فعمقه وأبعد غوره كما يتسع لأجسامنا ويصلح للاضطجاع . فزولناه واحداً بعد واحد وساعدنا ذلك على رفع مستوى الماء قليلاً فما زلنا نتقلب فيه وتلبط . وهواء المساء البارد يصفع أجسادنا الحارة ونحن نصر على أن نؤم أنفسنا بأننا نأخذ حماماً ساخناً حتى أدركنا أن إصرارنا سيكون وخيم العاقبة إذا نحن تمادينا في تحدى الطبيعة إلى أبعد من هذا الحد، فخرجنا ترائب من حفرتنا كجماعة الضفدع دهمها دهم وهي ترتل في مخابها أناشيد المساء !

ولما نزل بنا الليل كان الهواء النائر قد سكن، والتراب السافي قد استقر، ولاحت النجوم في السماء زاهية زاهرة . وأشهد أنى لم أر السماء طول حياتي كما رأيته في تلك الليلة . فلقد اعتدنا أن نراها ونحن في المدن من خلال المباني الضاربة في الفضاء، ومن خلال النوافذ الضيقة، فكنا لا نرى إلا قطعاً منها تنهب التجزئة

وهلة وأحسست بقلبي يتراجع قليلاً في صدرى شأن من يفاجأ بأمر لم يكن يتوقعه . ولكن سرعان ما استغرق بصري ذلك الجبل العظيم الذي كنا نقف في كنفه . فصوبت عيني فيه وصعدتها فأخذتني عظمتها . ولمحت في صفحته ثغرة سوداء قريبة من سطح الأرض، فأدركت أنها لابد أن تكون مدخل الكهف الموعود . وكان هذا الجبل يقوم على شاطئ البحر ليس بينه وبين الماء في البقعة التي وقفنا فيها أكثر من خمسين متراً، ثم هو يمتد محاذياً للشاطئ مسافة مائتي متر أو ثلثمائة متر، وبعد ذلك يتصل بالماء رأساً فيرتطم موج البحر بقدميه ويتحطم على صخوره السوداء . ولفت نظري في ذلك المثلث الرملي الضيق الذي كنا نقف على قاعدته أن قناة ضحلة تجري وسطه فتتبعها يبصرى مسرعاً فرأيتها تبدأ عند قاعدة الجبل ولكن لم أتبين من أين ينبثق ماؤها . فدللت إليها حتى جئت المكان الذي ينبعث منه الماء فإذا هو ثلثة ضيقة بين صخرين يسيل منها الماء كما يسيل من صنوبر متوسط الحجم فيجري على الصخور المجاورة حتى تنسله رمال الساحل فتبلغ منه ما تبلعه وتترك الباقي ينداح على صدرها حتى يصب في البحر . وكانت رائحة الكبريت ساطعة تملأ الجو، ولكن الماء كان يجري كالبلور المذاب لا يعلوه بخار ولا يبدو عليه أنه حار . فأغراني ذلك بأن أمد إليه أصبعي ولكني ماكدت أفعل حتى سحبتها صارخاً كأنما اندق فيها مسمار . فأثلجت هذه اللسعة صدرى . ومنيت نفسي بالحمام الساخن الذي قطعت من أجله كل تلك القفار . فلست أعرف في متع هذه الحيلة ما هو أحب إلى نفسي من الحمام الساخن !

•••

وكان إخواني قد أدركوني وحف بعضهم بالنبع وانطلق بعضهم يسير القناة . أما الإيطالي فإنه اشتغل بنصب الخيام وشامت المصادفات أن يكون الهواء في ذلك اليوم قوياً ثقيلًا فكان يسفى علينا التراب ونحن لا نجد ما نختمى فيه حتى قامت خيام الإيطالي فأوينا إليها وقد نال منا الجوع، ونشر الخادم بين يدينا عليه ولفائفه وأدار علينا الخبز فالتهناه بما أصابت أيدينا من جبن وزيتون وقديد وما إلى ذلك مما كان قد أعد لتبيل أغنام الرعاة المنتظرة وسمك الصيادين الموعود، فأبت علينا

محسوساً في الحرارة فسرنا ذلك ، وبقينا فيه أيضاً حتى ألقناه ثم أوغلنا ثانية ، وهكذا حتى أصبحنا في قرار الكهف حيث الظلام الشامل . فما كان أروع منظرنا ونحن نزحف في نواحي المكان كالحفافيش والعالم من خلفنا على باب الكهف ساطع بهيج ! وكنا قد احتملنا معنا مناشفنا فلم تكن ترى فينا إلا شبحاً يستوى قاعدة فيأخذ في تدليك جسمه بمناشفه حتى يجفف عرقه فلا يكاد يرقد حتى يقوم إلى جانبه شبح آخر يظل يهزج ويحك ذراعه بذراعه فلا ينتهي حتى يسلم هذه المهمة لسواه ، وهكذا حتى أحسنا بحلو قنأ آخر الأمر تكاد تجف من فرط ما عرقنا وأفرزنا من ماء جسمنا فعملنا على الانسحاب . وكان حتماً علينا أن ننسحب متدرجين كما أوغلنا متدرجين حتى لا تقتلنا الطفرة أو يؤذيها الانتقال السريع . فقضينا في هذا الانسحاب زمناً ليس بالقليل ولم نستطع أن نركب سيارتنا إلا بعد أن انتصف النهار . ونسيت أن أقول إننا أتينا بعد خروجنا على ماء الصفيحتين فشربناه وظللنا من بعده يومين ونحن نتجشأ بنزينا قويا يكاد يريحه يضيء ولو لم تمسه نار !

٥٥٥

انقضت بعد عودتنا أيام رأيت في خلالها بعض الصحاب فكان حديثهم تردداً لما لاقينا من وعاء الطريق ، وما قاسينا من سعار الكهف . ثم قابلت صاحبنا الإيطالي فكان حديثه أنه يفكر في الحصول من الحكومة على امتياز لاستغلال النبع وإقامة فندق صغير بجواره وتهيته بواخر خفيفة تصل بينه وبين السويس حتى تنقلب الرحلة إلى متعة ينعم بها المستشفون بدل أن تبقى كما هي الآن مشقة ينوء بها الرياضي . فتهتف في نفسي هاتف : يعيش الدوتشي ! ، وقلت لحديثي : لمثل هذا فليعمل العاملون .

مسرح مهزل

العدد ١٨٣ من الرسالة

نقدت طبعة هذا العدد فليس في الإدارة منه شيء فزجو من الذين يطلبونه أن ينتظروا حتى نعيد طبعه ويومئذ سنعلن في الرسالة عن موعد توزيعه

فيها بجمال المجموع . أما في تلك الليلة فقد راقنا أن تنام في العراء فبسطنا فراشنا فوق الرمل وألقينا عليه وسائدنا ثم انطرحنا على ظهرنا واتجهنا بأبصارنا في السماء فراعنا ، وبدت لنا النجوم كما لو كنا لم نرها قط قبل تلك اللحظة . وإني لأذكر الآن كيف أننا جميعاً أصابنا وجوم مشترك أمام عظمة هذا المشهد حتى لقد بقينا فترة لم ينبس فيها واحد منا بحرف . فلما نطق أول متكلم فينا وتحدث بمراعاة من منظر السماء اندفعنا جميعاً نكرر معنى واحداً في عبارات مختلفة ، وأدركنا أننا في سكوننا كنا تحت تأثير واحد ، وأن أحداً منا لم يستطع أن يفلت من جاذبيته !

٥٥٥

وفي غداة اليوم التالي تنفسنا مع الصبح جميعاً . ومنا من كانت قد انقضت عليه أعوام وأعوام وهو لا يرى الشمس كل صبح إلا بعد أن ترقى حدود الألق بزمان طويل . وهبنا من مضاجعنا خفافاً تفيض حركاتنا بالقوة والنشاط ، وكانت مفاجأة الصباح التي أعدتها لنا طبيعة المكان أننا أردنا أن نتخلق لحانا فامتعت عن الصايون مياه النبع ؛ وعبثاً حاولنا إحداث الرغرة المطلوبة على الرغم من إصرافنا في الدتلك والفرك ؛ ولم نشأ أن نضحى ببقية مائتنا العذب في شؤون زينتنا ، فطال ركوعنا على حافة القناة حيث اجتمعنا في شبه (صالون) خشن حقير !

وكنا قد أحسنا في المساء أن ذخيرتنا من الماء كادت أن تنفذ ، فاحتلنا في الحصول على مدد فلم نجد إلا صفيحتين فارغتين من صفائح البنزين فبعثنا بهما مع خادم ليلاًهما من ماء الوادي فعاد بهما إلينا ونحن تناول طعام الفطور ، فكرعنا من مائهما ما كنا في حاجة إليه ، فاذا هو في مذاقه أشد نكراً من ماء النبع فهذا فيه طعم الكبريت . أما ذاك فإنه عبق برائحة البنزين والبتروول .

وكنتم أجمع العردة مع بعض الصحاب في ظهر ذلك اليوم فرأينا أن نقضي الساعة التي بقيت لنا في جوف الكهف حتى لا يكون قد فاتنا شيء من متع المكان قبل أن نبرحه . فعدنا إلى قصان البحر فارتدبناها ونشرنا شيئاً من الفراش في أرض الغار ثم دخلنا فرقدنا فوقها ولكننا لم نلبث أن اعتدنا حرارة المكان الذي استلقينا فيه ، فأوغلنا قليلاً فوجدنا فارقاً

الألفاظ العربية

الإسلامية ، المولدة ، العربية

العربية ، العبرانية ، السريانية

استعمال لفظة في محلها : (سد بوزك)

للأستاذ محمد اسماعيل الذشاشيني

الألفاظ في العربية أقسام :

قسم عربي بحت ، وهو الذي وضعته اللغة في (الجزيرة) أو جاء من عند غيرها وخالط ألفاظها فعد كأنه منها ، وهو أعجمي تعرب ، والعربية عربية قوية ، فكان مثل الهرمزان الذي أسلم وبدل ثيابه ، وتسمى بعرفطة . . . كما جاء في (الطبقات) لابن سعد .

وقسم إسلامي أظهره الإسلام ، وما كان في الجاهلية يعرف ، أو كان له معنى فيها غير الذي استجد ، وهو مثل : المؤمن ، المسلم ، الكافر ، المنافق ، المخضرم ^(١) ، الجاهلية ^(٢) الدجاجلة ^(٣) الفاسق ؛ قال ابن الأعرابي : « لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم (فاسق) قال : وهذا عجيب وهو كلام عربي ، ولم يأت في شعر جاهلي . وفي الصحاح نحوه . »

وقسم مولد محدث ، ولد في غير (الجزيرة) مثل الطنزي (أعني السخرية) والكابوس الذي يقع على النائم - وفي هذا الزمان يقع على النائم واليقظان - والمطرمد وهو الكذاب الذي له كلام وليس له فعل ، وما أكثر الطرمدة ^(٤) في الناس والفشار - وهو الهذيان - وجُلّ الناس أوكلهم - كما يقول بعضهم - فشارون . .

(١) في اللسان قال ابن خالويه : خضرم خلط رتمه المخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام . وأما من قال خضرم بفتح الراء فإنه عنده أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام (٢) في (كتاب ليس) لابن خالويه : أن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة .

(٣) في (كتاب ليس) : لم يسمع جمع السجال من أحد إلا من مالك بن أنس فقيه المدينة فإنه قال : هؤلاء الدجاجلة

(٤) في (أمالي القائل) : الطرمدة لفظة عربية . وفي (اللسان) : الطرمدة ليس من كلام أهل البادية (الجوهري)

ومن المولد الطرش والتشويش والمخرقة والقازوزة ^(١) والبحران ^(٢) ومنه ^(٣) (ستي) في قولهم : ياروحى ، ياستى ! بمعنى يأسيدنى

وقسم معرب وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها تقول : عربته العرب وأعربته في (الصحاح) : المهندس الذي يقدر مجارى القنى والآبنية ، معرب . وصيروا زايه سيناً فقالوا : مهندس لأنه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال

ومن المعرب (قالون) قال الثعالبي في فقه اللغة : « سأل على شريحاً مسألة فأجابها : فقال له : قالون : أى أصبت بالرومية ، وفي (الفائق) للزمخشري : « أو هذا جواب جيد صالح . ومنه حديث ابن عمر (رضى الله عنهما) أنه عشق جارية له (رومية) وكان يحبها جداً شديداً ، فوَقعت يوماً عن بغلة كانت عليها ، فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها ، وكانت تقول له : أنت قالون (أى رجل صالح) فهربت منه بعد ذلك فقال :

قد كنت أحسننى (قالون) فأنطلقت

فاليوم أعلم أنى غير (قالون)

ومن المعرب الششقلة وهي أن تزن الدينار بآزام الدينار لتنظر أيهما أثقل ، قيل ليونس : بم تعرف الشعر الجيد ؟ قال : . . بالششقلة

ومنه (البوس) بمعنى التثقيب . ومن المعرب (خوداى) أى واجب الوجود وهو الله . وفي كتاب (المدهش) لابن الجوزى : « وقف أعجمي عند الكعبة والناس يدعون وهو ساكت ، ثم أخذ بلحيته فرفعها وقال : ياخوداى ، شيخ كبير ١١١ »

ومن المعرب (الخزر والديباغ) وكون هذين معربين - شئى محقق ^(١)

ومنه الفالوذج واللوزينج والجوزينج ومن يقدر أن يمارى في تعريب ذلك ؟؟

(١) في (اللسان) : القازوزة - مشربة دون القرقرارة ، أعجمية عربية

(٢) البحرين : الثغر الذي يحدث للليل دفعة في الأمراض الحادة

(٣) في الزمر : كل لفظ كان عربى الأصل ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تسكين أو تحريك أو نحو ذلك مولد .

(٤) في (أدب الكتاب) للصولي : ينظر فارسى عربياً بين يدي يحمي بن خالد

وقول ابن أبي الفنون يذكروننا بكلام لابن حزم في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) وهو :

«ان الذي وقفنا عليه وعلناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وريقة لا لغة حمير - واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلس إذا رام نعمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا رام لغة أهل الأندلس ، ومن الخراساني إذا رام نعمتهما

ونحن نجد من سمع لغة أهل (لخص البلوط) وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة . وهكذا في كثير من البلاد فانه بمجاورة أهل البلدة لامة أخرى تبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله ، ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ، ولا فرق ، فنجدهم يقولون في العنب : (العنب) وفي السوط (أسطوط) وفي ثلاثة دنانير (ثلثدا) . وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال (السجرة) ؛ وإذا تعرب الجليلي أبدل من العين والحاء هاء فيقول (مهمداً) إذا أراد أن يقول (محمداً) ومثل هذا كثير . فن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ^(١) أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم ، وإنها لغة واحدة في الأصل

ومن الألفاظ المولدة في العربية لفظة (البوز) التي استعمالها الجمهور في مدينة يافا من أعمال فلسطين منذ أربع سنين حينما كان الوطنيون في دار القضاء (المحكمة) يحاكمون ، فقد قال عامل عربي من عمال الشحنة أو الشرطة - البوليس أو البلوص كما يقال في بعض الجهات - فانه قال كلمة منكرا فاحشة أنكرها - الجمع العربي حتى إن النيابة وهي انكليزية أنكرتها وقسرتها على أن يرجعها فرجعها ؛ فلما قالها صاح الناس هناك : (سد بوزك) وقد ظن بعضهم أن هذه اللفظة عامية والصحيح أنها معربة ^(٢)

(١) وفي (طبقات الامم) للقاخي مساعد الأندلسي : « فرعت اللغة العبرانية والعربية من اللغة السريانية »

(٢) في (كتاب) الألفاظ الفارسية المعربة : « البوز بكلام العامة معرب عن بوز وهو يطلق على فم الحيوانات (الكلب)

وفي (شفاء الغليل) البوز الغم ويطلقونها في الأكبر على فم الكلب »

ومنه (الدهدر) أي الباطل وهو تعريب (دة دله) أي صاحب عشرة قلوب ، والمراد به الرجل المتقلب . (قلت) : والرجل المتقلب ذو مئة قلب ومئة وجه

ومنه البشم : النخمة ، ولا ريب في أنها معربة فما يجيء البشم الا من الافراط في الاكل ، ومتى كان الشبع في الجاهلية حتى يكون البشم ؟

ومنه أيضا : (أيضا) فارسيتها أيدي كما يقول كتاب الألفاظ الفارسية المعربة

ومن المعرب : (شاقرد) أو شاجرد ومعناه متعلم ، تليد تعريب شا كرد قال الأعشى : وما كنت (شاجردا) ولكن حسبتني -

إذا (مسجل) سدي لي القول - أنطق ^(١) وقال موسى بن عبد الله البخثكان :

قد كنت شاكردي فيما مضى فصرت أستاذي ولا ترضى ومن المعرب : التوت أو التوث وهو الفرصاد في العربية الأولى . قال محبوب بن أبي العشنط :

لروضة من رياض الحزن أو طرف من القرية جرد غير محروث للنور فيه اذا مع الندى أرج

يشق الصداق وينق كل ممفوت ^(٢) أحلى وأشهى لعيني ان مررت به

من كرخ بغداد ذي الرمان والتوت وفي تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم بخطه : « قال نصر ابن محمد بن أبي الفنون في كتاب أوزان الثلاثي : سين العربية شين في العبرية ، فالسلام شلام ، واللسان لشان ، والاسم اشم »

البركي فقال الفارسي : ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية ، وقد ملكتم فاستغنى عنا في أعمالكم ولا لتكم حتى أن طيحتكم وأثر بكم وما فيها على ما سمعنا ، ما غيرتموه . فسكت عنه البركي . فقال له يحيى بن خالد : قل له : اصبر لنا ، فملكنا ملككم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا تحتاج إليكم ولا إلى شيء . كان لكم

(١) مسجل : تابعة الأعشى (شيطان) وفي الأساس : ركب فلان مسجلا إذا مضى على عزمه . وتقول : إذا ركب فلان مسجلا أعجز الأعشى ومسجلا . أي إذا مضى في قريضة .

(٢) ممفوت : محموم

الروايات الكنسية والنصرانية

وقيمتها كمصادر للتاريخ الاسلامي

للاستاذ محمد عبد الله عنان

وفقت دار الآثار المصرية أخيراً للحصول على نسخة مصورة من أثر كنسي هام له قيمته في تاريخ مصر الاسلامية ، هو مجموعة سير بطاركة الكنيسة القبطية منذ نشأتها حتى منتصف القرن السابع الهجري . وقد كان للمجتمع القبطي دائماً شأن في تاريخ مصر الاسلامية ، وكان للكنيسة القبطية دائماً علاقتها الرسمية مع الحكومات الاسلامية ، ومع ذلك فان الرواية الاسلامية لم تفسح مجالاً كبيراً لبحث هذه العلاقات وتمحيصها ، ولم تكن بالأخص بان تشرح لنا وجهة النظر الكنسية في مختلف العصور شراحاً وأقياً ، ولم تفتن دائماً الى الاستفادة من الآثار والمصادر النصرانية في تفهم أحوال المجتمع النصراني وزعامته الروحية . ومن ثم كانت أهمية الآثار النصرانية التي تعنى بعصور من تواريخ الأمم الاسلامية ، ففي هذه الآثار نستطيع أن نفهم بوضوح موقف الكنيسة وموقف أوليائها حسبما يصوره لنا كتابها ودعاتها ، ونستطيع بمراجعة أقوالهم وتعليقاتهم أن نقف على كثير من الحقائق التي لم تكن الرواية الاسلامية بشرحها واستيعابها ، وكتاب سير البطاركة الذي أشرنا إليه من تلك الآثار التي تلتقي ضوءاً على موقف الكنيسة القبطية ، وموقف الشعب القبطي وأحواله في مصر خلال العصور الوسطى ، وهي ناحية لها بلا ريب قيمتها وأهميتها في تاريخنا القومي . وتنقسم النسخة المصورة التي حصلت عليها دار الكتب من الأثر الذي أشرنا إليه والتي نقلتها عن مخطوط باريس إلى قسمين : أولها كتاب سير الآباء البطاركة الذي وضعه الأنبا سويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في عهد المعز لدين الله الفاطمي في تاريخ بطاركة الاسكندرية ، وهذا الأثر معروف ومتداول لأنه طبع منذ أكثر من ثلاثين عاماً بعناية الآباء اليسوعيين ، وقد عرفته الرواية الاسلامية منذ عصور وانتفعت به أحياناً فيما نقلته من أبناء الكنيسة والبطاركة . وقد كان الأسقف سويرس من أكابر الأبحار والمفكرين أيام الدولة الاخشيدية وأيام المعز لدين الله ، وكان أسقفاً لمدينة الاشمونين التي كانت من مدائن

أو مولدة وهي — إن لم تكن نوحية — ألفية عمرها ألف سنة ، وقد استعملها كبار الأدباء ، وهذه حكاية أوردها ياقوت في كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) وقد جاءت فيها اللفظة المذكورة :

حدث غرس النعمة محمد بن هلال قال : حضر يوماً (ابن جني) — الامام اللغوي — في الديوان يتحدث مع أبي اسحق الصابي ، وكان له عادة في حديثه بأن يميل شفثيه ويشير يديه ، فبقى أبو الحسين القمي شاخصاً يبصره يتعجب منه فقال له ابن جني : ما بك يا أبا الحسين ، تحنق إلى النظر وتكثر مني التعجب ؟

قال : شيء ظريف !

قال : ماهو ؟

قال : شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا ويده كذا بقرده رأيت اليوم عند صعودي إلى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثلاً يفعل مولاي الشيخ فامتعض أبو الفتح بن جني وقال : ماهذا القول يا أبا الحسين (أعزك الله) ؟ ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي ، أو أجن فتمجن لي ؟

فلما رآه أبو الحسين قد غضب قال : المذرة أيها الشيخ إليك وإلى الله (تعالى) أن أشبهك بالقرده ، وإنما شبهت القرده بك فضحك ابن جني وقال : ما أحسن ما اعتذرت ! وعلم أنها نادرة تشيع فكان يتحدث هو بها دائماً ،

ويستعمل بعضهم (البوز) لبرطيل^(١) الكلب . فيقول : بوز فلان مثل بوز الكلب

وإذا كانت اللغة خصت بها هذا الحيوان فيكون استعمالها نوع من بني الإنسان مجازياً ، والمجاز باب واسع
فقول الجمهور لذلك (الشُرطى) حين خرج الذي خرج من فيه ، من فمه ، من بوزه : (سد بوزك) — استعمال من جهة اللغة في محله

محمد اسعاف الفساحي

(١) البرطيل : خطم الفلحس وهو الكلب

مصادره ومساق واضع، فأتينا إلى هذه الحقيقة وهي أن الجزأين الثالث والرابع من المخطوط ليس لهما علاقة بمؤلف أسقف الأشمونين، بل هما أثر مستقل بذاته، ذيل بهما الأثر الأصلي لأنهما في نفس موضوعه وهو استئناف سير البطارقة من حيث وقف سويرس؛ ويسمى هذا الأثر الملحق باسم آخر هو «سير البيعة المقدسة»، ولم يقم بتأليفه أو وضعه مؤلف واحد بل تعاقب في وضعه وكتابه عدة من الأجيال المتعاقبين، فتولى كتابة القسم الخاص بعصرى العزيز والحاكم مثلاً قس معاصر يدعى الأب ميخائيل، كاتب السنوديقا بكرسى مارمرقص، (البطريركية) كما يقول لنا ذلك خلال الكتاب؛ وكتب سيرة الأنبا فيلاتاوس البطريرك الثالث والستين وهو معاصر العزيز ثم الأنبا زخاريا البطريرك الرابع والستين وهو معاصر الحاكم بأمر الله، وأورد الكتاب خلال حديثه كثيراً من الأقوال والروايات الهامة عن الحاكم وحياته العامة والخاصة، وعن حوادث العصر المدهشة. وكتب سير البيعة المقدسة أيام الظاهر والمستنصر قس يدعى موهوب بن منصور بن مفرج الاسكندراني -- الشمس، ويقول لنا إنه جمع سيرهم وكتبها واستخرجها من دير أبو مقار بوادي هيب وذلك سنة ٨٠٦ للشهداء الموافقة لسنة ١٤٨٠ هـ. وكتب في أيام المستنصر وبعده قس آخر يدعى يوحنا ابن صاعد بن يحيى المعروف بالقزى وهكذا حتى أواخر الدولة الفاطمية؛ وهنا يقول لنا كاتب هذا القسم إنه سيتم سير الآباء، وإنه بدأ بمشاهدته في عصره وخصوصاً أيام زوال الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية، وهنا يميل الكاتب إلى التبسط في سرد أحداث العصر، ولا يتقيد بالناحية الكنسية بل يفيض في سرد الحوادث جملة؛ ويتحدث عن السلطنة وعن سيرها وأعمالها، ويسير في ذلك على ترتيب السنين القبطية أو سنَى الشهداء، حتى سنة ٦٣٥ هـ، أو نحو سنة ٩٥٠ للشهداء، حتى نهاية عصر الملك الكامل ناصر الدين

ولقد نوهنا في بداية هذا الفصل بأهمية أمثال هذه الآثار الكنسية في شرح موقف الكنيسة من الخلافة أو السلطنة، وشرح وجهات نظرها فيما يتصل بها من الحوادث والشؤون، وتبدو أهمية الرواية الكنسية بنوع خاص في العصور التي تضطرم فيها فورات اضطهاد ضد الكنيسة والمجتمع النصراني أو تنجس السياسة الإسلامية إلى الضنط عليهما لظروف وعوامل

الصعيد الزاهرة يومئذ، وتشيد الرواية الكنسية بعلوه وأدبه ومكاته الروحية والاجتماعية، وتحدثنا عن صلاته بالمعز لدين الله ومخاوراته الدينية والكلامية معه، وتعدد لنا كتبه وآثاره الأدبية والتاريخية. ويتناول سويرس في كتابه سير بطارقة الاسكندرية منذ القديس مرقس منشى هذا الكرسي حتى البطريرك افراهم بن زرعة السرياني الذي رسم بطريركاً لليعاقبة سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) في أوائل عصر العزيز بالله. وقد ورد في مقدمة هذا القسم إشارة إلى طريقة وضع هذا الأثر وتأليفه نصاً: «هذه السيرة جمعها واهتم بها من كل مكان الأب الجليل انبا سويرس بن المقفع أسقف مدينة الأشمونين، ذكر أنه جمعها من دير أبو مقار ودير نيا، وغيرهما من الديارات وما وجده في أيدي النصارى منها أجزاء مفرقة أفق فيها أعواماً طويلة حتى بلغ عمره الثمانين» (١).

على أن هذا القسم المتداول ليس هو المقصود بالذات في هذا التعريف والتعليق، وإنما نقصد بالاختصاص إلى التعريف بالقسم الثاني من الأثر الكنسى، وهو الذى يشغل المجلدين الثالث والرابع من مخطوط باريس الذى نقلت عنه نسخة دار الكتب المصرية، فهذا القسم الذى لم ير الضياء بعد يحتوى على سير البطارقة المصريين منذ أوائل الدولة الفاطمية إلى سنة ٦٣٥ هـ أعني إلى نهاية عصر الملك الكامل. وقد نسب هذا الأثر بجملة في فهرس مكتبة باريس الوطنية إلى سويرس بن المقفع، وهى نسبة ظاهرة الخطأ لأن سويرس توفى في أوائل عهد العزيز حوالى سنة ٣٧٠ هـ، فليس من المعقول إذن أن ينسب إليه ما تضمنه الأثر الكنسى بعد هذا التاريخ؛ وظهر أثر هذه النسبة الخاطئة جلياً فيما كتبه العلامة المستشرق سلفستردى ساسى، عن الحاكم بأمر الله في كتابه عن الدروز، إذ ينقل كثيراً ما ورد في الأثر الكنسى عن عصر الظاهر ولد الحاكم وعن عصر المستنصر بالله ولد الظاهر (٢)، منسوباً إلى سويرس بن المقفع. وقد أتيت لنا فرصة لبحث هذا الأثر الكنسى واستقصاء

(١) في ديباجة سير الآباء البطارقة (طبعة اليسوعيين)

(٢) سلفستردى ساسى: (P.417 et Suiv.) Réligion des Druses

ومما يلاحظ أن هذا العلامة هو الذى وضع فهرس الكتب الدرية لمكتبة باريس ووقع في هذا الخطأ، الذى تابعه فيه البحث الحديث بنسبة الأثر كله إلى سويرس ابن المقفع.

النصرانية ، مثال ذلك أن ابن خلدون يعتمد على ابن العميد في معظم ما كتبه عن أخبار الدولة الرومانية والدولة الشرقية (البيزنطية) ، ويرجع السر في ذلك إلى أن أغلب الكتاب النصارى كانوا يعرفون السريانية واليونانية واللاتينية أحياناً ، ومن ثم كان اتصالهم بالمراجع الأجنبية وانتفاعهم بها . وهكذا نرى أن الروايات الكنسية والنصرانية العربية بوجه عام فضلاً عن قيمتها وأهميتها الخاصة في سرد أخبار الكنيسة والمجتمع النصراني ، وشرح مواقفها في مختلف العصور والمناسبات ، حقيقة بالدرس والمراجعة كمصادر قيمة لعصور معينة من التاريخ الاسلامي ، تلقى ضوءاً على كثير من نواحي الصلة والعلاق بين الشرق والغرب ، والنصرانية والاسلام

محمد عبد الله عنان

خاصة ، كما حدث بمصر في عصر المأمون ، وفي عصر الحاكم بأمر الله وأيام الحروب الصليبية ؛ فهنا تبدو الرواية الكنسية متنفساً حقيقياً للتعبير عما يتخالج الكنيسة ورعاياها من العواطف والآراء نحو المجتمع الاسلامي ؛ وقد تحمل الرواية الكنسية في هذه المواقف على المبالغة والاغراق في أحيان كثيرة ، ولكنها تحتفظ مع ذلك بقيمتها وأهميتها في إيضاح كثير من النقط والمواقف التي تغضى عنها الرواية الاسلامية أو ترى فيها آراء أخرى . ولا نقف أهمية الرواية الكنسية عند ذلك الحد ؛ ففي بعض الأحيان ، وفي عصور السكينة والسلام ، تغدو الرواية الكنسية مصدراً قيماً لاستعراض الحوادث التي تعني بها . وفي القسم الأخير من مجموعة « سير البيعة المقدسة » يبدو الكاتب مؤرخاً لا غبار عليه ، ويتبسط في شرح الحوادث والشؤون العامة في أواخر الدولة الأيوبية ، ويقدم إلينا عنها رواية لا بأس بها

ونرى أن نشير بهذه المناسبة إلى أنه توجد الى جانب هذه الروايات الكنسية التي تعني بناحية خاصة من تاريخ مصر الاسلامية لم تعطها الرواية الاسلامية دائماً حقها من العناية ، طائفة من الروايات النصرانية ، التي تنبؤاً مقامها الحق بين مصادر التاريخ الاسلامي ؛ فلدينا مثلاً تاريخ سعيد بن بطريق — بطريق الاسكندرية الذي يصل في كتابته حتى سنة ٥٣٢ هـ ، وتاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي الطبيب والمؤرخ ، وقد كتبه ذيلاً على تاريخ ابن بطريق ، ووصل في كتابته حتى أواخر عهد الظاهر لا عزاز دين الله الفاطمي ، وعنى فيه عناية خاصة بأخبار الحاكم وشخصه وحوادث عصره ، وتاريخ المكين ابن العميد المسمى بتاريخ المسلمين الذي يستعرض فيه أخبار الخلافة والسلطنة حتى أواخر القرن السادس الهجري ؛ وتاريخ ابن العبري المسمى بمختصر تاريخ الدول الذي يصل فيه برواية حتى أواخر عصره أعنى إلى أواخر القرن السابع ، فهذه الآثار التي كتبها كتاب ومؤرخون من النصارى ، وإن كانت تميل في معظم الأحيان إلى أن تخلص أخبار الكنيسة والمجتمع النصراني بأعظم قسط من عنايتها ، تحتفظ دائماً بقيمتها كمصادر لتواريخ العصور التي عثت بها . وتمتاز هذه الآثار بميزة خاصة ، هي أنها تعني عناية فائقة بتاريخ الدولة البيزنطية باعتبارها حامية الكنيسة الشرقية ، وتفيض في تتبع أخبارها وعلائقها بالأمم الاسلامية بإفاضة دقيقة ممتعة ، وهذه ناحية لم تخصصها الرواية الاسلامية دائماً بما يجب من عناية ، بل هي تعتمد غالباً في تناولها على هذه الروايات

مصر في قيصة الاسكندر المقدوني تأليف اسماعيل مظهر

بمقتضى تاريخي ففتح المقدونية مصر. وهو
هذا المقدون الكبير به مصر الفرعونية ومصر المقدونية
وهو نقد كتاب كانت له اكبر الاثر على كل بلاد
الشرق منه اقصى شمال افريقية إلى اقصى بلاد فارس
يطلب من الناشر

مكتبة النهضة المصرية

٥ شارع المداينج

وصلة المكاتب بشارع نمرة ٦ قروش خزانة اجمرة البريد

ويظهر قريباً للمؤلف كتاب

الحب الاول وقيصة وكليوباترا

في الأدب المقارن

الطير والحيوان

في الأدبين العربي والإنجليزي

للأستاذ غفرى أبو السعود

وحدة الأحياء واشتراكهم في صفات ترفعهم جميعاً عن الجماد وتمييزهم بالشعور بالغبطة والالام . كل هاتيك حقائق من الموضوع بحيث انتهى إليها الأولون قبل أن يحققها العلم الحديث ويفصل دقائقتها وخرافاتها ؛ وتنازع الأحياء البقاء ، وعدوان أنوارها على أضعفها وفوز القوى بالغلب والبقاء ، هذه كذلك أمور واضحة رأى المتقدمون مظاهرها وظهرت لمحاتها في آدابهم ؛ وقد كان موقف الإنسان منذ عصوره البدائية من الحيوان غريباً لا يخلو من تناقض وطرافة : كان في أول أمره يتنازع السباع البقاء ويفترسها ليتغذى بها ، ثم استأنس بعضها وسخره في أعماله تسخير العبيد ، واتخذ بعضها للزينة والمسرة ثم عاد فقدس بعض عبيده أولئك ورفعهم إلى مصاف الآلهة ، لأنهم يدبرون على حياته خيراً وبركة ، بينما ظل يتلهى باقتصاص أرباب الوحش . ويجرب بأسه وفروسيته بأصنام حشاشاتها ، والتفريق بين الأمهات منها وبين الصغار .

واخترع خيال الإنسان في تلك العهود البعيدة عجائب الحيوان وغرائب الأطياف ومخيف الكائنات ، كما توهم البابليون وحشاً هائلاً يقذف الماء من فيه فيغمر السهل والجبل ، وكان تجل الغريق الجياد الطائرة والسباع ذوات الرؤوس المتعددة وخلات شعور رؤسها أفاع باغية ، وتوهموا الأبطال المغامرين منطلقين لقتال تلك السباع والافاعي ، وكان تصور العرب الغول والعنقاء ، وزعم السندباد أنه سافر على جناح طائر ميمون يدعى الرخ ، وكان توهم أوائل الإنجليز سبباً صارياً قد ألقي الرعب في ملكة بأسرها ، حتى صارعه فصرعه الأمير يولف في الملاحمة المسماة باسمه ؛ ولم تكن كل هذه السباع الوهمية التي هذى بذكرها الإنسان في عهوده الأولى ، إلا صدى لذكريات الوحوش الهائلة التي كانت تقطن البر والبحر في قابر الأزمان ، وكان الإنسان المتوحش على فرع منها وحذر دائبين

فلما بلغ الإنسان طوراً من الحضارة أرقى ، أنزل تلك العجاوات التي كان أهلها من محارِب عبادته ، وتبدت تلك الخرافات وما بها من سباع وهمية ، وعلم العرب أن الغول والعنقاء مستحلان استحالة الحل

الوفى ، وظهر من المثقفين ذوى النفوس الرقيقة من انتهوا ونهوا عن قتل الحيوان والتغذى بلحمه والتلهى بصيده وتغذيه وسجنه كأي العلاء الحكيم العربي ، وكان تصور الإبطالي ليوناردو دافنشي ، الذي كان يتنازع الطيور الحبيسة ليطلقها ويشفي نفسه المتألمة برؤيتها تضرب أجنحتها ذاهبة إلى الفضاء ؛ وظهرت آثار تلك العلاقات المختلفة بين الإنسان والحيوان في الآداب : ففي الأدب الإغريقي وصف لمغامرات حلة الارغونوت التي خرجت لاستخلاص فرأى ثمين يحمله غول فظيع ، وفيه وصف لجماعة السيكلوب أو المردة ذوى العيون المفردة ، وما كان بين كبيرهم وبين يوليسيز من كفاح ، وفي الأدب الفرنسي قطعتان بديعتان تقيضان رحة وجمالاً ، تصور إحداهما مصرع غزال والأخرى مصرع ذئب على أيدي الصيادين

والأدب العربي حافل بذكر أنواع الطير والحيوان التي عرفها العرب في باديتهم ، كالجلج والحصان والأسد والقطاة والحمامة ، وكان من عاداتهم أن يمنحوا بعضاً منها كنيات : فأبوقيس للقرود وأبو خالد للأسد ، وكان لبعضهم أسماء في لغتهم عديدة ، وبها ضربوا الأمثال قالوا : أهدى من قطاة وأحذر من غراب . وأعدى من ظليم ، وسيروا الكنى فقالوا : جان الكلب ومهذول الفصيل للجواد المضياف ، واستعاروا أوصافها للإنسان فقالوا : جيد كجيد الغزال وعيون كعيون الجأذر وشبهوا خوذات المقاتلين ببيض النعام ، وتشابهوا بأصوات بعض الحيوانات كالغراب والبومة ، وزجروا الطير يتفاهلون بالسارح منها ويتشابهون بالبارح ، وأجروا الأمثال على أسنن كقصص الثيران الثلاثة المنسوبة إلى الإمام علي ، وكالقصص التي أنطق فيها الحيوان ابن المقفع ، والمحاورات التي تحملها إباحا إخوان الصفا ، واسترعت أحوال الحيوان ومسحات انتباههم فتدبروها ملياً كما في تلك الرسالة البليغة عن النمل المنسوبة إلى الإمام علي أيضاً ، وفي التدبر في أحوال كثير من الطير والحيوان والمواهم أفاض القرآن الكريم في شتى المواضع ، ودعا الإنسان إلى التفكير فيها ، وألف الجاحظ كتابه المعروف جامعاً بين العلم والآداب

وقد أطنب أدباء العربية خاصة في ذكر الإبل ووصفها في أشعارهم ، ووصف سيرها وحنينها إلى أعطانها واستحثائها ومناجاتها ، ولا غرو فقد كانت قوام حياة العربي في حله وترحاله ، بل كان لها أثر جليل في تطور الشعر العربي ذاته ، إذا صح ما قيل من أن أوزان الشعر اشتقت من مشياتها وتدفعها ، وهو قول وجيه ؛ وقيل شأن الإبل قليلاً حين تحضر العرب ، ولكن ظلت لها أهمية عظيمة ، وظلت من أهم وسائل الانتقال وحمل المتاجر براً ، وحافظ أدباء العربية على تقاليد الجاهليين من الإطناب في ذكر الإبل وتقديمه بين أيدي المديح

حتى استقلت الابل بجانب عظيم من الشعر العربي ، ومن خير أوصافها قول طرفة في معلقته :

وإني لأفنى الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغدى
تبارى عناقاً ناجيات وأبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد
وأظن أدباء العربية أيضاً في ذكر الخيل ووصفها في أشعار
الحاسة ، وما ذاك إلا لأنهم في جاهليتهم وإسلامهم كانوا أمة جلاد
وكفاح ، الخيل أول عدتهم في القتال والذود عن حقيقتهم ، فكان
أعز مكان في الدنيا لديهم ظهر ساج كما قال المتنبي ، وطالت صحبتهم
الخيول وأطردت ملازمة الخيل لهم ، فكانت ملازمة قوامهم كما قال
المتنبي أيضاً ، وكانوا ولدوا على صهواتها ، ووصفوا مواقفهم في
الحروب ومواقف جياهم ، كما فعل عترة في معلقته ، حيث يذكر
كيف ازور حصانه من وقع القنابل بانه ، وكيف شكاً إليه آلامه بعبدة
وتحمم ، وصار لكلمة الخيل أو كلمتي الخيل والرجل مغزى خاص
بالحرب ، بعد أن استعملها القرآن الكريم في تلك الآية البليغة :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من عدة ومن يباط الخيل » ، وتألق أبو تمام
والمتنبي في وصف الخيل وسماتها وأخلاقها وزخرفها ، ومن بديع
أوصافها في العربية قول الفرزدق في جواد أغر محجل :

فكانت لطم الصباح جبينه فاقص منه نخاض في أجشائه
وأيات أبي تمام التي يقول منها :

وأولق تحت العجاج وإنما من صحة إفراط ذاك الأولي
وقول أبي الطيب في وصفه للمركة التي دارت على ربي حصن الحدث :

إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتعشى في الصعيد الأراقم
وقاز الأسد والذئب باهتمام أدباء العربية ، وتركوا في الشعر العربي
أوصافاً شائعة وقصصاً ممتعة ، من ذلك وصف بعض المقاتلة أمام
أمير المؤمنين عثمان بن عفان طلوع أحد الليث عليهم في جلجلة
وروية زلزلت الأرض وخلعت قلوب الفرسان وجياهم ؛ ومنه أيضاً
وصف الفرزدق للأطلس العسال الذي رأى ناره موهناً فأناه ، فقامه
عشاه ، حتى امتلا الذئب فتكسر ضاحكا ، ولكن الفرزدق حين
رأى نيوب الذئب بارزة لم يقل أن الذئب يتسم ، بل جعل قائم سيفه
في يده بمكان ، وتناه على الذئب بما آناه له من قرى بدل أن يرشقه بشبابة
سنان ؛ أما البحترى فلم يكن بهذا المكان من الجود ، بل كان يحدث
نفسه بصاحبه الذئب ، كما كان الذئب يحدث نفسه بصاحبه البحترى ،
فرمى الإنسان الوحش فأصماه ، ونال من لحمه قليلاً ؛ كذلك يصف
المتنبي في أبيات هي من غرر الشعر العربي ملاقة بعض بمدحيه للأسد ،
وتعفيره إياه بالسوط ؛ وهناك كذلك وصف البديع في بعض مقاماته
لمثل هذا اللقاء الرائع بين فارس مقدام وبين ملك الحيوان ، ومنه
قوله على لسان الفارس :

وقلت له : يعز على أني قتلت مناسي جلدا وقسرا
ولكن رمت شيئا لم يرهم سواك ، فلم أطلق باليئ صبرا
تحاول أن تعلني فرارا ، لعمر أيك قد حاولت نكرا
ولما تحضر العرب وانتشر في عليهم الترف ، تألقوا في اتخاذ
الحيوان للزينة والمتعة ، وكان الخروج للقصص من وسائل لهُومهم وترويحهم
عن النفس ، وكثر في الشعر وصف تلك الأفيال التي كان الخلفاء
الفاطميون يسبونها في مواكبهم ، والمها التي كانوا وكان غيرهم يزينون
بها حظائرهم وقصورهم ، ووصف الخروج للقصص وكلاب الصيد ،
وقد وصف أبو نواس في أبيات مشهورة كاساً له قد صورت عليها
مها تدرجها بالقسي الفرارس ، ووصف المتنبي لبؤة مقتولة وأشباهها
حولها جائمة ، وكان قد هيء ذلك المنظر في حفل استقبال فيه سيف
الدولة سفراء قصر ، ولابن الرومي عينة بارعة في وصف يوم طرد
تمتع به في رفقة له ، ومن نوادر أبي دلالة أنه خرج مع الخليفة المهدي
وعلى بن سليمان للصيد ، فأخطأ على الرمية وأصاب أحد كلاب الصيد
فقال أبو دلالة :

قد رمى المهدي ظيئاً شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لها : كل امرئ يأكل زاده

وكان من عادة أدباء العربية أن يمثلوا أحوالهم بأحوال الحيوان ،
ويستعبروا صفاته لمسام بسيل وصفه ، فيمثلون لحنينهم بحنين الابل
إلى أعطافها ، ولوجدنهم بوجد الظبية على خشفها قد صرعت نبال
الصائد ، أو مزقه برائن السبع الضاري ، يصفون مصرع طفلها
وافقادها إياه وجزعها وتلددها لهلا ، في أبيات كثيرة يبدأونها
بقولهم : « وما ظنية ... » أو نحو ذلك ، ويعقبون عليها بقولهم :
« بأرجع مني يوم بانوا ... » أو ما إليه ؛ كما كان من التقاليد المتبعة
في أشعار النسيب والوجد مناجاة الحائم وسؤالها عما يشجها ، ومقابلة
شجوها بشجور الشاعر ، ووصف تهيجه لذكرياته وتجديدها لآلامه
ومن محاسن ما قيل في الحائم قول أعرابي :

وقلي أبكي كل من كان ذا هوى هتوف البواكي والديار البلاقع
ومن على الاطلاع من كل جانب نوائح ماتخضل منها المدامع
مزرجة الاعناق غر ظهورها محطمة بالدر خضر روائح
تري طرراً بين الخوافي كأنها حواشي برد زيتها الوشائع
ومن قطع الباقوت صيغت عيونها خواضب بالحناء منها الأصابع
أما أشد شعراء العربية شغلاً بأمر الأحياء وتأملات في أحوالها
وذكرها لها في شعره فهو المعري الذي بلغ من نفاذ البصر في شؤون
الحيوان وشدة الرحمة له حياً ، والانكار للؤم طباعه حياً ، وطول
التأمل فيها تأملاً موضوعياً لا ذاتياً ، ما لم يبلغه غيره من شعراء العربية

فهو تارة ينسج على الضرعام مفادته غابه لينازع ظي رمل في كناس ،
وتارة يسمح للذئب بالشاة علماً بما بالذئب من دام السغب ، وتارة
يكي للحمامة البريئة يعاجلها الصقر عن نقرها وهديلها ، وطوراً يرميها
بمائلة غيرها من الحيوان في الجور والعدوان ، وهو ينهى عن جفيرة
النحل في شهدها أو الناقة في فصيلها في حائته الرصينة من لومها لا يلزم
لا يكاد يوجد في الأدب الانجليزي شيء من ذكر تلك الأنواع
من الحيوان سائلة الذكر ، التي احتق بها أدباء العربية أي احتقاه ،
وحفل بذكرها الشعر العربي في شتى عصوره ، فلا الجمل ولا الحصان
ولا الأمد والذئب ، ولا الخاتم والظباء ، مثل ذلك المكان الظاهر
من موضوعات الأدب وتشبيهاته وكنائياته وأمثاله ؛ وذلك لاختلاف
البيئة الإقليمية والاجتماعية ، ذلك ضروب من الحيوان لا تكثر في
انجلترا كثرتها في بلاد العرب ، بل لا يوجد بعضها أصلاً ، والانجليزي
كانوا جوارى بحار لارحالي صحار ، ومقاتلة على الماء أكثر منهم على
البر ، فلا غرو ألا يملأوا بتلك الأنواع إلا عرضاً ، وأن يمتلئ أدهم
بوصف ضروب أخرى من الأحياء غير هذه

إنما يحفل الأدب الانجليزي بذكر الطيور الجميلة المفردة ، ووصفها
ومناجاتها ، ووصف أغاريدها والاسترسال معها إلى آماد الخيال البعيدة
والطيران معها على أجنحة الشعر ؛ فالأدب الانجليزي غني بالشعر
الطبيعي الذي قصد به الوصف الطبيعي وحده ، وهذا الوصف حافل
بوصف الأطياف ، والأدب الانجليزي غني أيضاً بالوصف الطبيعي لم
يقصد لذاته ، وإنما يتخلل شتى أغراض القول ؛ وهذا مملوء بذكر
الطائر أيضاً ، والشعر الانجليزي غني فوق ذلك بالقصائد التي كتبت
خاصة في مناجاة الطيور وعبادة أصواتها المطربة ، ولم يحفل الأدب
العربي من شيء من ذلك ، ومن محاسن ما فيه منه وصف الصائغ
للبيغاء ، وهو من غرر الشعر العربي ومنه يقول :

عدت من الأطياف ، واللسان يرهنى بأنها إنسان

تنظر من عيني بالقصين في النور والظلة بصاصين

تميس في حلها الخضراء مثل الفتاة الغادة العذراء

يبد أن الشعر الانجليزي أغزر وأخف تلك الآثار . ولكل من
ورد زورث وكنيس وشلي وتيسون وسوينبرن قصائد في ذلك باللغة
غاية السمو العاطفي والكمال الفني ؛ ولم يكتب الشعراء بمناجاة أطياف
جزيرتهم الغريبة الكثيرة ، فلجأوا على عادتهم إلى الخرافة ، وتصور
كولردج طائراً عجيباً سماه الإلباتروبس جلب النين والبركة لأصحاب
الملاح القديم ، ثم جزاه هذا الأخير جزاء سمار فقتله ، فكان ذلك
سبب ضلاله وهلاك أصحابه

ومن غرر تلك الأشعار في الانجليزية قول ورد زورث : وأياها
القادم السعيد ، ها أنذا أسمعك فأطرب ، أسمعك طائراً أم صوتاً
محلقاً ؟ أنا أسمع هتافتك المرددة وأنا مضطجع على العشب ، ويخيل

إلى أنها تمر من ربوة إلى ربوة ، قرية بعيدة في آن واحد : ترسل
أغاريدك في الوادي المكسو بالأزهار وضياء الشمس ، فتثير في نفسي
رؤى بعيدة ، مرحباً بك يا رسول الربيع ! يا من كنت إليه أستمع
إذ أنا صبي بالمكتب . وطالما جعلني هتافك هذا أنلفت في كل ناحية
باحثاً في الشجيرات والأدراج والسماء ، وطالما ضربت في الغابات
والأعشاب في نشدائك ، وظللت أنت دائماً أملاً أو حبا يطول التشوق
إليه ولا يرى أبداً ، وما أزال أستطيع الاستماع إليك والانبطاح
في السهل مصيخاً إليك ، حتى أستعيد في مخيلتي ذلك العهد الذهبي ،

ولجون لوجان من شعراء القرن الماضي مقطوعة عذبة في مناجاة
الطائر عينه ، قد وقع فيها على بعض معاني ورد زورث وتعبيراته ،
وان لم يقل عنه جمالاً وابتكاراً ، قال : « مرحباً يا غريب الأراكة
الجميل ، يا رسول الربيع ، هاهي ذى السماء تعد لك مقعدك من الريف ،
ويردد الغاب صدى الترحيب بك ؛ إذا مارقت الأقحوان العشب
أيقنا أن سنسمع صوتك من جديد ، فهل لك نجم يهديك السبل
أو يوقت لك دورة العام ؛ أيها الزائر المطرب ، إلى مملك أرحب
بأوان الأزهار وأسمع الموسيقى العذبة التي ترددها الأطياف في حواشي
الحائل ؛ ويسمع صبي المكتب صوتك المنني بالربيع الجديد ، وهو
يطوف في الغاب يقطف آخر زهيرات الشتاء ، فيتوقف منصتاً ويقلد
تغريدك ؛ أيها الطائر المطرب : إن تخيلك خضراء أبداً ، وسماك
أبداً صافية ، وليس في أغاريدك شجن ولا في عامك شتاء ، فياليتني
أستطيع الطيران فأخف مملك على جناح الجبور . لطوف طوفتنا
السوية حول الأرض ، رفيق ربيع مستمر ،

بأمثال هذه الأوصاف الطبيعية الشائقة ، والمناجاة الحارة الصادقة
يحفل الشعر الانجليزي ، ومثل هذا الولع بالطيور والشغف بمناجاتها
ورقت القصائد والمقطوعات على الترتيم بحبها غير شائع في الأدب
العربي ؛ فالشعر العربي أحفل بذكر الحيوان ولا سيما الضروب سائلة
الذكر ، والشعر الانجليزي قليل الاحتفال بها عظيم الحفاوة بالطير ؛
ولا غرو : فقد كان العرب رجال يجتمع مقبلين على أسبابه ووسائله ،
يحمدون الإبل التي هي قوام حياتهم والحيل التي هي عمادهم في معركة
الحياة ، ويتمدحون بالأس والشجاعة فيذكرون قتال الأسود وجندلة
الذئب ، وفيما عدا ذلك لم يكن لهم كبير الاهتمام إلى الطبيعة ، ولا
شديد عطف على أبنائها ، وأشعارهم في هذا الباب لا تتم عن حب
للحيوان أو شغف بحياته ؛ وكان حب الطبيعة والقيام بمجاهها من أكبر
مميزات الأدب الانجليزي ، والطيور أكثر تمثيلاً لمجاهها وجورها
من الأسود والذئب ، فكثرت في الأدب الانجليزي وصف الطيور كما
كثرت وصف الأزهار والآجام والأنهار ؛ وفي شغف الأدب الانجليزي
بهذه واحتراف الأدب العربي بتلك رمز وبيان للصيغة الاجتماعية التي
ترين على الأدب العربي ، والنزعة الطبيعية التي تتجلى في الأدب الانجليزي

فقرى أبو السعود

النفس وخلودها عند ابن سينا

للدكتور ابراهيم بيومي مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٤ —

لأنظن بعد الذى تقدم أن الرئيس ابن سينا قد ادخر وسعا في إثبات حقيقة مغايرة للجسم متميزة عنه كل التميز، وأن في الكائن الحى شيئا غير لحمه ودمه هو مصدر حركته وحسه وتفكيره. وسواء أكان موقفا في برهنته دائما أم لا فالمهم أنه اعتمد - كما اعتمد أنصار المذهب الروحى قديما وحديثا - على بعض الظواهر التى لا يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً، ورأى أنها تستلزم قوة كامنة ومبدأ خفياً هو النفس. وهذه الظواهر قسماً: جسمية وعقلية؛ ومن الأولى يتطرق الخلط والوهن غالباً إلى برهنته. ففي اللحظة التى يحدث فيها عن الإحساس أو الحركة زاعماً أنها لا تفهم إلا إن سلنا بقوة روحية تشرف عليها وتنظمها نراه يبعد عن الآراء الحديثة كل البعد؛ أما حين يعرض للشخصية والتفكير والظواهر النفسية في وحدتها واتصالها ويقرر أنها تستدعى أصلاً غير الجسم وأمرًا مخالفاً للبدن فإنه يدلى بأفكار تقربه من المحدثين بقدر ما تبعده عن زملائه ومعاصريه. وهذا هو الجزء الذى بقي للخلف من برهنته، والذى يجدر بنا أن ندخره ونحتفظ به. ولستأ ندعى مطلقاً أنه أثبت وجود النفس بأدلة هى اليقين وحجج لا تقبل النقض؛ فذلك كانت ولا تزال مشكلة المشاكل وموضع الخلاف بين الماديين والروحانيين. والمهم أنه انتهى في هذا الباب إلى أكثر البراهين اقناعاً وأعظمها وضوحاً.

والآن وقد فرغ من إثبات وجود تلك الحقيقة المخالفة للجسم فلا بد له من أن يحددها ويبين ماهيتها ويعين خواصها ومميزاتها. وليس تحديد النفس من الأمور الهينة؛ فقد كان مثار اختلافات كثيرة بين الفلاسفة الأقدمين، وجمعت أخذ ورد طويلين بين أفلاطون وأرسطو بوجه خاص. ولم يكن ابن سينا بعيداً عن هذه الآراء المتباينة والمذاهب المنفرقة، فإن الباب الأول من كتاب النفس لأرسطو، الذى يعد حجته الأولى ومصدره الرئيسى، موقوف في جملة عليها وخاص بعرضها ومناقشتها (١). وسيراً على سنته يعقد في كتابه الشفاء فصلاً في ذكر ما قاله القدماء في النفس وجوهرها ونقصه (٢)، وفيه يلخص كل ما جاء في الباب الآنف الذكر. ليعين مذاهب الفلاسفة

السابقين، ويناقشها على نحو يشبه كثيراً ما صنعه أرسطو. واختلاف هؤلاء الفلاسفة في رأيه راجع إلى أن النفس أثرتين ظاهريين هما الحياة والحركة من جانب والادراك من جانب آخر، ففريق بهره الأثر الأول وسأول تجريد النفس بواسطته فقط، وفريق آخر لم يفهم في طبيعتها إلا الادراك، وفريق ثالث رأى أن يجمع بين هذين الجانبين. ويراد بالفريق الأول كل أولئك الذين عدوا النفس مصدر الحياة والحركة الذاتية، نخلطوا بينها وبين الدم الذى إن سفع كان الموت، أو بينها وبين الجواهر الفردة - أو الهباء كما يسميه ابن سينا - التى كان يظن أنها متحركة دائماً. وأما الفريق الثانى فيعتقد أن الشيء لا يدرك سواه إلا إذا كان مبدأ له ومتقدماً عليه؛ ولذلك عدوا النفس واحداً أو جملة من المبادئ التى يختلف نوعها وعددها تبعاً للفلاسفة فظنوا أنها نار أو هواء أو أرض أو ماء أو بحر؛ أو جعلوها مركبة من العناصر الأربعة كما ذهب إلى ذلك أبناء دقليس زعماء منه أن الشيء هو الذى يدرك الشيء، فلا بد أن يكون في النفس جزء من الأشياء التى تدركها. وأما الفريق الأخير فيرد النفس إلى العدد لأن الأعداد مبدأ الوجود والحركة والادراك (١).

واضح أن ابن سينا يشير في كل هذا إلى آراء الفلاسفة السابقين لسقراط في النفس، أمثال طاليس وديمقريط وفثاغورس. وإن كان لم يصرح بأسمائهم. ولم يفتح بتلخيص هذه الآراء، بل ناقشها مناقشات طويلة عنيفة نكتفى بأن نسرده أمثلة منها. فيعرض على الفريق الأول أنه لم يفسر السكون، ذلك لأن النفس إن كانت متحركة بذاتها فكيف تسكن. على أنه ليس من السهل على هذا الفريق أن يحدد نوع الحركة الذى تقوم به النفس. ويرفض المذهب الذرى الذى أثبت بطلانها في نواح أخرى. ولا يخفى تهكمه بأولئك الذين يزعمون أن الكائن لا يدرك إلا ما صدر عنه ملاحظاً أن الإنسان يعلم أشياء كثيرة لم يقل أحد إنه أصل لها. وليس بصحيح مطلقاً أن الشيء فقط هو الذى يدرك الشيء، لأنه لو سلم هذا كان معناه أن العالم العلوى لا يعرف من أمر العالم السفلى شيئاً (٢).

ليس هناك شك في أن وقوف ابن سينا على هذه الآراء ومناقشته لها قد هيأت له الفرصة لتخير أحسن تعريف يلتزم مع طبيعة النفس ووظائفها. إلا أن هناك عاملين قريبين يتقاسمانه. وصوتين عظيمين يتجاذبان، وهو بينهما في حيرة واضحة وتردد ظاهر أو تناقض مكتشف أحياناً. فحين يقرأ عبارات أرسطو الأخاذة وتحليلاته المنظمة واعتراضاته المضحكة لا يلبث أن يردد ما ويسير وراءها. وحين يسمع أفلاطون ينادى بجوهرية النفس وتميزها التام عن البدن

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(1) Aristote, De l'ame, I, 2-5.

(2) ابن سينا، الشفاء، ج ١ ص ٢٨٢.

تميزة من الجسم . ويصرح بأن ما ذهب إليه الأفلاطونيون والفيثاغوريون من أن النفس جوهر روحي أشبه بالخيال منه بالحقيقة ؛ ولا يستطيع أن يتصور أن نفساً ما تأتي من الخارج وتحل في جسم ما . وكيف قبل هذا ومؤداه أن النفس تدخل الجسم كما يوضع مظهر في ظرف خاص ؛ ومن المقرر أن المادة غير قابلة للعزل عن صورتها (١) ومع هذا فإن أرسطو يفسر النفس تفسيراً أدخل في باب المثالية من فرض أستاذه ؛ فإنه يعتبرها صورة ، وليست الصورة شيئاً أو مادة بأي شكل من الأشكال . تناقض واضح ومتنظر من كل فيلسوف واقعي لا يزال يحتفظ بقدر من المثالية .

وكان ابن سينا قد أدرك ما في التعريف السابق من نقص بدليل ملاحظته من أنه لا يفسر النفس من حيث هي وإنما يعرفها من ناحية صلتها بالجسم فقط (٢) . لهذا أخذ على عاتقه أن يتلافى هذا النقص وأن يوضح ذات النفس بميزا إياها بخاصتين رئيسيتين هما الجوهرية والروحية . وفي حديثه عن هاتين الخاصتين يعرب لنا عن جدلي ماهر وتحلل دقيق وباحث عميق . ونحن نعلم أن الجوهر والعرض متقابلان بل ومتناقضان وإن كان تناقضهما غير صحيح ، فإن كل ما ليس بجوهر عرض . فإذا استطعنا أن نثبت أن النفس ليست واحداً من الأعراض لزم من هذا أنها جوهر قائم بذاته . ولعل أول شيء ينشأ عنها العرضية هو أنها مستقلة كل الاستقلال عن الجسم ؛ وهذا الأخير يحتاج إليها تمام الاحتياج في حين أنها لا تحتاج إليه في شيء . ولن يتعين جسم ما ويتحدد إلا إذا اتصلت به نفس معينة . وعلى عكس هذا النفس هي سواء اتصلت بالجسم أم لم تتصل به . ولا يمكن أن يوجد جسم بدون النفس مع أن هذه تستطيع أن تعيش بمعزل عنه ؛ وما دامت هي مصدر حياته وحركته فلا وجود له بدونها . ولا أدل على هذا من أنه يتغير ويصبح شبحاً من الأشباح إذا ما انفصلت عنه . فالنفس إذن جوهر قائم بذاته لا عرض من أعراض الجسم (٣) . وهنا يعتمد ابن سينا عن أرسطو بعداً واضحاً ؛ فإن من المبادئ المسئلة لدى الأخير أن ليس ثمت وجود مستقل للصورة بمعزل عن مادتها .

وليس القول بجوهرية النفس من الآراء التي ابتكرها ابن سينا ؛ فقد سبقه إلى هذا أفلاطون وتوسع فيه رجال مدرسة الاسكندرية . غير أن هناك فارقاً بينه وبينهم ، فبينما هؤلاء يعدون النفس جوهر لا غير يقرر هو أنها جوهر وصورة للجسم في آن واحد ، وفي هذا من التعارض ما فيه وإن كان يفسره بأنها جوهر في ذاتها وصورة من ناحية صلتها بالجسم . والسرف في هذا التعارض الذي وقع فيه الفارابي من قبل أن الفيلسوف العربيين متأثران بمصدرين مختلفين ؛ فقد أخذنا

يستولي عليه هذا النداء ويصادف هوى في نفسه وإن كان لا يتفق مع آراء أرسطو . وقد يقف سوقاً وسطاً بين هذين الطرفين المتقابلين محاولاً الجمع والتوفيق .

يبدأ ابن سينا فيلاحظ أن الأجسام الطبيعية مكونة من هيولى وصورة . فأما الهيولى فهي تلك المادة التي يتكون منها الجسم كالخشب الذي يصنع منه الكرسي أو كالحديد الذي يعمل منه السيف . وأما الصورة فهي ما به تتميز الأجسام بعضها عن بعض وتحدد ماهيتها وتقوم بوظائفها . فالأرض لا تفرق عن الماء بمادتها بل بصورتها ، والإنسان إنسان بصورته لا بمادته المكونة من العناصر الأربعة ، والسيف لا يقطع بحديد بل بحدته . وبما أن الكائن الحي جسم طبيعي فهو مركب من هيولى وصورة ، والأخيرة هي التي تميزه من الكائنات غير الحية إذ أنها مصدر حياته وحسه وحركته . فالنفس إذن صورة الجسم . والصور كالات كلها وكمالات أولية ، لأن وجود الأشياء المختلفة لا يكتمل إلا بها . وليست النفس كمالات أولياً لجميع الأجسام ، بل للأجسام الطبيعية فقط التي تمتاز بالحياة عن الأجسام الصناعية وتشتمل على آلات وأعضاء تقوم بوظائف متباينة . فهي كمال أولى لجسم طبيعي آلي (١)

يخيل إلينا أن القاري سيدرك على الفور المصدر الذي أخذت عنه هذه الأفكار . فإن ابن سينا لم يصنع شيئاً أكثر من أنه لخص الفصلين الأول والثاني من الباب الثاني من كتاب النفس لأرسطو (٢) ولم يكتف بأن يعتنق آراء الفيلسوف اليوناني ، بل أبقى إلا أن يردد بعض ألفاظه وتعبيراته . فلفظ « كمال » الذي يتشبه به ويبنى عليه تعريفه ترجمة صحيحة لكلمة « أنتليشيا » اليونانية ، وقوله إن « النفس صورة الجسم » ترجمة أخرى لتعبير أرسطى مشهور (٣) فإذا كان التعريف السابق ناقصاً أو معيماً من بعض نواحيه فالذنب في هذا لا يرجع إلى الفيلسوف العربي وحده ، وإنما يشاركه فيه أستاذه اليوناني صاحب الفكرة الأولى . وإذا تركنا جانباً لفظة « كمال » أو « أنتليشيا » وما فيها من غموض فإننا لانبث أن نصطدم بهذه الجملة : « النفس صورة الجسم » . تعبير رائع أخذ من غير شك ، ولكنه لا يقدم كثيراً في تفهم حقيقة النفس وتحديد ماهيتها . وكما عودنا أرسطو هذه التعبيرات الحلوة التي يدمج فيها بعض المشاكل دون أن يحلها وفكرة الصورة من الأفكار الجوهرية في مذهبه إلا أنها في الوقت نفسه من أدق نقطه وأصعبها تلاؤماً مع نزعة الواقعية . فإن من يقول بالصورة يدنو من المثالية الأفلاطونية وإن تحامل عليها . والواقع أن أرسطو لم يأل جهداً في نقد مثالية أفلاطون التي تقول إن النفس حقيقة

(١) I bid., 407 b, 13.

(٢) ابن سينا ، الشفاء ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ - ٢٨٠ - رسالة في القوى النفسانية ، ص ٢٤ - ٢٦ .

(٢) Aristote, De l'âme, II, 1-2.

(٣) I bid., 412 a , 20.

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

— ٥ —

قالت الزهرة المائنة للزهرة الخالدة :

— لقد تمتعنا بالحياة معاً على مرج واحد، وغداً تلتحقنا
نسائم الربيع المودع فتدوى وريقاني وأموت، وتبقى أنت
خالدة في الحياةستقبلك الشمس مشرقة ومغربة فتشرب من وجنتيك دموع
الصباح وأنت مصغية الى أناشيد الأطيّار
ما أحلى الحياة وما أجمل البقاء ! وبلاء من قضاء أبرم على
حكم الفناء !فأجابت الزهرة الخالدة : — كل شيء يتغير ويتطور وأنا
وحدى أشهد في جمودي نشوء الطبيعة وتحولهاتمرّ بي لفحات القرّ وتداعبي نفحات الصيف فلا الشتاء
يمتني، ولا الربيع يحيني، وأنا أحلّ تاجي الأصفر الدائم فلا
أخاف الموت ولا أشعر بالحياة
تمرّ بي أسراب النحل فلا أسمع لها طنيناً، ويجانبني الفراش
المطّير فلا تلمسني جناحاههبّ النسيم فيمرّ بي سراعاً دون أن يستوقفه مني أريج
يتضمخ به، وتقترّب الغادة مني ثم تبعد وهي تحدّجني بلفحات الاحتقار
من يقطف زهرة القبور، زهرة الخلود الصفراء الدائمة الذبول؟
تمايلي على سافك النضير يازهرة الربيع، وارفعي أبصارك
إلى السماء شاكراً، سقياً لك ! فانك ستحلين رموز الموت بعد أن
عرفت أسرار الحياةأما أنا الضحية البريئة، فلسوف أبقى عرضة لحر النهار وبرد
الليل، تضربني شمس يوليّه وتعانقني نلوج يناير، سوف أبقى في
الحياة لأسمع في الليل أنين العظام البالية في القبور

ستموتين يازهرة الربيع فترتفع روحك مع زكي عبيرك
إلى السماءأذهبى بسلام واحلى توسلى إلى العلى، قولى للذي خلقنا: إن
دوام البقاء على الأرض ضربة لا عطية، توسلى إليه ليدعوفى إلى
مصدر كل سعادة وكل حياة (ف. ف)

فكرة الصورة عن أرسطو كما أخذ فكرة الجوهر عن أفلاطون؛ ولم يربأ أية غضاضة في أن يطلقا هاتين على النفس، خصوصاً وقد ذلل لها أرسطو ذلك؛ فانه لم يستعمل كلمة «جوهر» في معنى محدود فيطلقها على المادة تارة والصورة أخرى وعليهما معامرة ثالثة. ومن الغريب أن صاحب كتاب الربوبية الخزانى يفسر عبارة أرسطو المشهورة: «النفس صورة الجسم» تفسيراً يشبه كل الشبه ما جاء به فلاسفة الاسلام؛ ولعل هؤلاء تأثروا به وغلطوا على نحو ما صنع الأرسطية والأفلاطونية (١) ولكنه لا يفوتنا أن نلاحظ أن ابن سينا كلما بعد عن جو الآراء الأرسطية وخلص إلى نفسه عد الروح جوهرها فحسب ولم يشر قط إلى صورتها. فإذا كان يعرفها في الشفاء والنجاء اللذين يحاكي فيهما جماعة المشائين أنها كمال وصورة للجسم فإنه لا يتحدث عنها في كتاب الاشارات الذي يبدو فيه استقلاله وشخصيته إلا باسم الجوهر والجوهر الروحي القائم بذاته. وفي هذا ما يبين لنا كيف غلبت أفلاطونيته على انتسابه لأرسطو في هذا الموقف.

«ينبع»

ابراهيم مكرم

(١) كتاب الربوبية، ص ١، ٧، ٢٤.

ظهر كتاب

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطمية

بقلم محمد عبد الله عنان

مؤلف مصر الاسلامية ومواقف سامية في تاريخ الاسلام وابن خلدون
وديان التحقيق وغيرهاوهو أتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله، وشخصيته
العجيبة، وحياته المدهشة، واختفائه المؤسسى؛ وعن نظم
الحلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة؛ وعن أسرار
الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرةمجلد في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوع أجود طبع
ومزين بعدة صور تاريخيةثمنه ٢٠ قرشاً والبريد أربعة قروش لداخل القطر وسبعة للخارج
ويطلب ابتداء من النقد من المؤلف بشارع الهامى نمرة ٢١
ومن مجلة الرسالة وجميع المكاتب الشهيرة

١٣ - هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الاستاذ فليكس فارس

سنة الأفعى

واستسلم زارا للكرى يوما تحت شجرة التين، وكان الحر شديداً فستر وجهه بساعده فأنت أفعى ولسعت في عنقه فصرخ متألماً وانتفض محدقاً بالأفعى فعرفت عينيه وتملك لتصرف، فقال لها زارا: - لا تدمي قبل أن أقدم لك شكرى، لأنك نهيتى في الزمن المناسب لأقوم بسفر بعيد، فأجابت الأفعى وفي صوتها غنة الأسى: - بل سفرك قريب فزعافى قاتل

وابتسم زارا وقال: وهل لزعاف الأفعى أن يقتل تينياً؟ خذى سمك، إتنى أعيده اليك فلست من الغنى على ما يسمح لك بتقديمه هدية لى.

وسارعت الأفعى الى الالتفاف حول عنق زارا تلحس جرحه. وقص زارا هذه الحادثة يوماً على أتباعه فقالوا له: وما هو المغزى الأدي لهذه القصة، فأجاب: - إن أهل الصلاح والعدل يدعوننى هداماً للبادى* الادبية فقضى لا تتفق وهذه المبادئ.

إذا كان لكم عدو فلا تقابلوا شره بالخير لأنه يستصغر بذلك نفسه، بل أكدوا له أنه أحسن بعمله اليكم، والأجدر بكم ألا تحتقروا أحداً، تظاهروا بالغضب، وإذا وجهت اللعنة اليكم، فلا يسرفى أن تمنحوا البركة، إن ما يسرفى هو ألا تأبوا اللعن أنتم أيضاً، وإذا ما أنزلت بكم مظلة كبيرة فبادلوا المعتدى مثلها وارفقوها بخمس مظالم صغرى، لأنه ما من مشهد أشد قبحاً من مشهد من لا يخضع إلا للظلم.

إن اقتسام المظالم بالتساوى إنما هو مساواة بالحق، فهل كنتم تعرفون هذا من قبل؟ من يقدر على إرهاب الناس بظلمه فعليه أن يحتل هو الظلم أيضاً.

لئن ينتقم الانسان قليلاً، فذلك أدنى إلى المعروف وليس

من الانسانية أن يرفع المظلوم عن الانتقام. إتنى لأنقر من اقتصاصكم إذا لم يكن عبارة عن حق تؤدونه للمعتدى، وإن من يسند الخطأ الى نفسه لأنبل من يعلنون في كل آن أن الحق في جانبهم، وأخص من هؤلاء، من كانوا حقيقة على صواب. ان أغنياء الروح لا يفعلون هذا.

إتنى أكره عدالتكم الباردة، فإن في عيون قضاتكم ازورار الجلالد ولمعان سيفه. فأين العدالة تلح في عينها الصفاء. أوجدوا لى الحب الذى لا يكتفى بحمل كل أنواع العقاب، بل يحمل أيضاً جميع الخطايا.

أوجدوا لى العدل الذى يرى الجميع ليحكم على الانسان الذى يدين.

أتريدون أن أذهب الى أبعد مما قلت فأعلن لكم أن الكذب نفسه يصبح محبة للانسانية في نفس من يتوق الى إقامة العدل.

ولكن هل بوسعى أن أقيم العدل بكل إخلاص. وكيف يمكننى أن أتوصل الى اعطاء كل ذى حق حقه. اذن، لا كفتين يان أعطى أصحاب الحق حقي الخاص.

وأخيراً، حاذروا ظلم المنفرد، اذ ليس بوسعه أن ينسى وأن يبادل الظالمين ظلماً، وما المنفرد الا بئر عميقة يسهل على من يشاء أن يلقى فيها حجراً. ولكن من يقدر أن يستخرج هذا الحجر اذا بلغ قعر البئر السحيق؟

احترسوا من اهانة المنفرد، وإذا أتم حفرتموه فاجهزوا عليه بقتله.

هكذا تكلم زارا...

الفصل الثانى

الطفل حامل المرأة

ورجع زارا الى الجبال، الى عزلة كهفه ليحتجب عن الناس كالزراع التى بذوره فى أثلام أرضه وبات يتوقع نباتها، ولكنه ما لبث أن حنت جوارحه الى أحبابه اذ كان عليه أن يمنحهم بعد كثيراً من الهبات وأصعب ما يلقى المحب اضطرابه الى قبض يده اجابة لداعى محبته وتفاديا للثة فى عطائه.

ومرت على المنفرد الشهور والأعوام وحكته تزداد نمواً فتزیده ألماً باتساع آفاقها.

يحتجبها في مسيره ليقطع معها السيول ويترامى وإياها في لجة البحر
انتي أتبع مسالك لم أعرفها من قبل وألمت يانا ، جديدا ،
بعد أن اتعبتني اللهجات القديمة التي ترهق كل المبدعين وقدامتني
على فكري أن يقتني رواشم النعال المقطعة

مامن لغة إلا وأراها بطيئة تقصر عن مجازاة ياني
سأقفز الى صوتك أيتها العاصفة فألهبك أنت أيضاً بسوط سخرتي
أريد أن أقطع أجواء البحار كهتفة مسرة وجبور الى أن
أستقر على الجزائر السعيدة حيث يقيم أحبابي ، وبينهم أعدائي
أيضاً ، لشد ما أحب الآن جميع من يتسنى لي أن أوجه إليهم
الكلام . وسيكون لهؤلاء الأعداء أيضاً قسطهم في إيجاد غبطتي
عندما أنتفض لاعتلاء أشد جيادي جموحاً لا أجد لي معيناً
أصدق من رحي متكأً أرتفع عليه

هو رحي أهدد به أعدائي ، ولكم يستحقون ثنائاً إذا
ماتمكنت من طرح هذا الرمح من يدي :
لقد طال اصطبار غيومي بين قهقهة الرعود وقد آن لي أن
أرشق الأعماق بقذائف برّدي .

إن صدرى سيتعاضم بانتفاخه حتى يزفر بالعاصفة الهائلة
على الشائحات وهكذا سأفزع عنه

فإن سعادتي وحررتي سيندفعان اندفاع العواصف ولكنني
أتمنى لو يحسب أعدائي أن ما يزجر فوق رؤسهم إنما هو روح
الشر لا روح سعادة وحرية

وأتم أيضاً أيها الصحاب سيتولاكم الرعب عندما تنزل عليكم
حكمتي الكاسرة ولعلكم تولون هاربين منها كما يهرب الأعداء
ليت لي أن أستدعيكم إلى بحنين شبابة الرعاة ، وليت تتعلم
لبوة حكمتي أن تزأر بنبرات العطف والحنان ، فلطالما وردنا سوريا
من مناهل العرفان ، ولكن حكمتي الوحشية تمنحضت بآخر
صغارها في الجبال السحيقة بين الجلامد الجرداء ، وهي الآن تطوف
بجنونها الصحارى القاحلة مفتشة على المروج الناضرة

إنها لشيخة وحشية هذه الحكمة التي تقصد إنزال أعز مالديها
في مروج قلوبكم الناضرة
هكذا تكلم زارا .

فلبكس فارسى

(ينح)

وأفاق يوماً من نومه قبل انفلاق الفجر واستغرق في تفكيره
وهو ممدد على فراشه وتساءل قائلاً :

— لماذا أرعبنى هذا الحلم الذي استفتت منه مذعوراً ؟
رأيت كأن ولداً يحمل مرآة ، اقترب منى وهو يقول :
— انظر في هذه المرآة يازارا

وما نظرت الى المرآة حتى صرخت وخفق قلبي خفوقاً
شديداً . لأن ما انعكس لي في المرآة لم يكن وجهي بل وجهها
تقطعت أساريره بضحكة شيطان ساخر

والحق ما يفوتني تعبير هذا الحلم وإدراك ما نهت اليه فإن
تعاليمى مشرقة على خطر ، والزوان يريد أن ينتحل صفات الخنطة .
لقد استأسد أعدائي فشوهوا تعاليمى حتى أصبح أتباعى ينجحون
بما وهبتهم .

لقد فقدت صحتي وأن لي أن أقتش عمن فقدت
وانتفض زارا لا كمن استولى الذعر عليه بل كما أخذ برؤى
وكشاعر هزه شيطانه . فوجم نسه وأفعاها وحداً بوجهه وقد
لاحت بواذر السعادة عليه كتبشير الفجر . فقال لها :

— ماذا حدث لي ؟ أفا تريان انتي تغيرت ؟ أفا تحسان ان
الغبطة قد نزلت على كأنها عصفات الرياح ؟

لقد جن شعورى بهذه السعادة فلن يسلم ياني من اختلال هذا
الشعور ، ان سعادتي لم تنزل في حداتها فتدعرا بالصبر معى عليها
لقد أوجعتني سعادتي فليكن أساق كل من أرهقهم الأوجاع
إن في وسعى الآن أن أتحدر الى مقر صحتي والى مقر أعدائي
فقد أصبح زارا قادراً على استطراد القول والاحسان الى من يحب
لقد آن لحبي أن يتدفق كالذى يندفع من الأعلى الى الأعماق ،
ويتجه من الشرق الى المغرب .

— إن نفسى تندفع مرغية مزبدة في الوديان متملصة من الجبال
الصامتة تصخب فوقها عواصف الآلام . ولطالما تعللت بالصبر وعلقت
أبصارى على بعيد الآفاق ، لقد أرهقتني العزلة فما أطيع السكوت بعد
أصبحت وكأني بأجمعي فم أو هدير جدول يتحدر من
شائحات الصخور . أريد أن أقذف بكلماتي الى الأغوار . فيجرى نهر
حي في المفاوز البعيدة ، ولن يضل هذا النهر سبيله الى مصبه في البحار
ان في داخلي بحيرة وحيدة قانعة بنفسها ، غير ان نهر محبتي

أحياء النحو

الأستاذ عبد المتعال الصعدي

لا شك في أن نحونا العربي أصبح علماً جافاً يورث النظر فيه السأم والملل . ولا يسعني مع هذا أن أنكر تلك الجهود الموقفة التي بذلها الأستاذ الجليل على الجارم في تسهيل النحو وتجميله في كتاب (النحو الواضح) فصارت به دروس النحو الأولى سهلة مقبولة لدى الناشئين ، توثى أكلها كل حين بإذن ربها ، وتقرن العلم بالعمل قرناً موفقاً ، ولكن نحونا العالي لا يزال في الحالة السيئة التي وصل إليها من يوم أن أخذ من أحضان علم الأدب الذي نشأ النحو في ظله ، وترعرع في أرضه الخصبة .

وكان الامام علي بن عيسى الرماني أول من انتزع النحو من حضنه بين الأدب وعلومه ؛ وقد ولد الرماني سنة ٢٧٦ هـ وأخذ عن الزجاج ، وابن السراج ، وابن دريد ، ثم برع في علم النحو حتى قال أبو حيان التوحيدى : لم ير مثله قط علماً بالنحو ، وغزارة بالكلام ، وبصراً بالمقالات ، واستخراجاً للعويص ، وإيضاحاً للشكل ، مع تأله وتنزه . ودين وفصاحة ، وعفاف ونظافة . وكان يمزج النحو بالمنطق ، حتى قال الفارسي إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معناه شيء . ، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء . - قلت : النحو ما يقوله الفارسي ، ومتى عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق ، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر ، لم يعد فيها شيء من ذلك .

على أن النحو لم يزل يبعد عن الأدب بعد الرماني شيئاً فشيئاً ، حتى أصبح العالم بالنحو لا يدرى شيئاً من الأدب ، ولا يستطيع أن يقوم لسانه أو قلبه إذا نطق أو كتب ، وحتى أصبحت بعض الشواهد النحوية تروى مغلوطة وتمضى عليها أزمان طويلة فلا يتنبه إلى غلطها ، ولا يعرف مع هذا قائلها ، وليس هذا إلا من فصل النحو عن الأدب ، والعناية بحفظ قواعده ونكاتها الفلسفية ، وإهمال صبغته الأدبية التي كانت تراعى في عهد ازدهاره .

وإني أسوق من ذلك هذا الشاهد الذي يذكر في باب التوكيد لكنه شاقه أن قيل ذا رجبُ ياليت عدة حول كله رجبُ برفع كلمة (رجب) في آخر البيت ، فهذا الشاهد لا يعرفون قائله إلى الآن ، وهم مخطئون في رفع كلمة (رجب) في آخر البيت لأنها من قصيدة رويها علي النصب لا على الرفع . وقد جاء في كتاب الكامل للبهره وشرحه رغبة الأمل للشيخ المرصفي (ص ٢١٤ ج ٧) أن عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي كان يوم بالناس في مسجد الأحزاب بالمدينة ، فلما وليها الحسن بن زيد منعه أن يؤم الناس في هذا المسجد ، فقال له : أصلح الله الأمير ، لم منعني مقامى ومقام آبائى وأجدادى من قبلى ؟ قال : ما منعك منه إلا يوم الأربعاء ، يريد قوله :

يا للرجال ليوم الأربعاء أمّا

ينفك يحدث لى بعد النهى طرباً

إذ لا يزال غزال فيه يفتنى

يأتى إلى مسجد الأحزاب مُنتقياً

يُخبرُ الناس أن الأجر متهـ وما أنى طالباً للأجر محتسباً

لو كان يطلب أجراً ما أنى مظهرأ مُعتمِناً بفئيت المسك محتسباً

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب ياليت عدة حول كله رجباً

فإن فيه لمن يبغي فواضله فضلاً وللطالب المرتاد ما طلباً

كم حرة دُرّة قد كنت ألفها تسد من دونها الأبواب والحجبا

قد ساغ فيه لها مَشى النهار كما ساغ الشراب لعطشان إذا شربا

يقال شهر عظيم الحق في سنة يهوى له كل مكروب إذا كربا

فاخرجن فيه ولا ترهبنَ ذا كذب

قد أبطل الله فيه قول من كذباً

وكانت ولاية الحسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب

المدينة سنة ١٦٠ هـ في عهد أبي جعفر المنصور ثانياً ملوك العباسيين

فأحياء النحو عندي بأن تعادله صبغته الأدبية التي كانت له

وليس إحياءه بتطوير الكلام في أن الفتحة ليست علامة إعراب

كما قرأته في بعض الكتب الحديثة ، فإن هذا مما يزيد فيه الطين

بلة ، ولا يؤدي بنا إلى الإصلاح المنشود له

عبد المتعال الصعدي

تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

الجاهلية : شعرها وعاداتها ودياناتها

ترجمة حسن حبشي

ويقول آخر في هذا الموضوع : (١)

لَوْلَا بُنْيَاتُ كَرْعَبِ الْقَطَا رُدِّدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مَضْطَرَبٌ وَاسِعٌ
فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَأِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَبْنَتَانِ أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْغَمَضِ (٢)

الحب والبغض Adi et Amo هاتان الكلمتان هما جامع
الآداب البدوية ؛ لأنه إذا كان العربي - كما رأينا - صديقاً حميماً
لخلاته ، فإنه عدو لدود لا يهدأ له بال إذا عادى ؛ تضطرم نفسه
وتتأجج بنيران الحقد والبغضاء ، وكانوا يعدون من لا يرد
اللظمة التي أصابته جباناً ، ويستحيل على الرجل الكريم المحدث
منهم أن ينسى ضرراً لحقه حتى يثار لنفسه وينتقم لها ، وأنشد
بعض الأعراب ، - وقد آلمه أن يغتصب المغير إبله - ألياناً
يقول فيها عن عشيرته التي لم تساعده في استرجاعها :

لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدُوٍّ
لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً

ومن إساءة أهل السوء إحساناً (٣)
والبيت الثاني الذي قد يسرف في مدح من يتصف به الأخلاقيون
المسيحيون والمسلمون الحق بمن قيل فيهم عاراً لا تمحى آثاره ، وإن
المنهج السيئ في معاملة الأعداء ليتضح على أتمه من الآيات التالية :
إذا المرء أولئك الهمان فأوليه

هواناً وإن كانت قرياً أو أصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه
فدرة إلى اليوم الذي أنت قادره

فالآن نمت فلا هم يؤرقني بهذا التبور إذا ما أودت الحرم
للموت عدى أباد لتأنكرها أحب سرورا وبى عما أن لم
(المترجم)

(١) هو حطان بن المثل (المترجم)

(٢) Charles Lyall : Anc. Arabian Poetry, P. 28.

والحلمة ص ١٢٧

(٣) الحلمة ص ٧

وقد وضع الاسلام حداً لهذه الوحشية واستهجنها القرآن
ونها عنها في قوله (١) (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَتْ خَطَاً كَبِيراً) وربما كانت
الآيات التالية تفصح عن هذا تمام الإفصاح ، وفيها نرى صراعا
عنيفاً بين رجل وبين الفاقة ، ويحمد الله أن كان مصرع ابنته قبل
مصرعه حتى لا تكون تحت رحمة أقاربها (٢) :

لَوْلَا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ
وَلَمْ أَقْلَسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْغَيْشِ مَغْرِفَتِي
ذُنَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو الرَّحِمِ
أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُبْلَمَ بِهَا
فَيَهْتِكُ السُّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
يَهْوِي حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَغَفًا
وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
أَخْشَى فِظَاطَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءِ أُخٍ
وَكُنْتُ أُبْنِي عَلَيْهَا مَنْ أَذَى الْكَلِمِ (٣)

(١) الاسراء (٢١: ١٧) وقد ورد في القرآن الكريم في موضع آخر (التكوير ٨ - ٩)
يوم الموقف والسؤال (وإذا المودودة سلطت بأى ذنب قتلت)

(٢) الحلمة ١٢٠ - وبالرغم من أن هذه الآيات لم تنظم في الجاهلية وإنما ترجع
إلى عصر متأخر في الاسلام إلا أنها تمثل هذه الغزعة الوثنية تمام التمثيل وقد عاش
ناظمها اسحق بن خلف أيلم الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٤٣ م) وقد تبنى بنت أخته
إذ ماتت ابنته . وراجع كذلك الكامل للبرد ص ٧١٥ ، وقد ترجم المخطوطين سير
شارلز ليل في كتابه Anc. Ar. Poetry, P. 26

(٣) ذكر البرد قصيدة في هذا المنى وهي التي أشار إليها نيكلسون وترجمها ليل :

أست أنيمة مضروباً بها الرحيم لتي صجد عليها الترب مرتك
يا شقة النفس أن النفس واللة حرى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أختى عليها أن تغدنى إلى الحمام فيلقى وجهي الدم

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة

وصممت إذا أيقنت أنك عاقرة^(١)

وفوق كل هذا فإن الدم يدعو الدم ، وهذا الارغام يظل يلاحق ضمير العربي الوثني ؛ وكان الانتقام عندهم ضرورة طبيعية إذا لم تحب حرمتهم النوم والشبهة والصحة ، كما كان ظمأ محرماً لا يطفى أواره أو يبل لهيبه سوى الدم ، ومرضاً من أمراض الشرف يمكن تسميته بالجنون ، وإن كان قليلاً ما يمنع الرجل من أداء عمله في هدوء وتبصر . وكانوا يثأرون من القاتل إن أمكن أو أحد أقاربه وأبناء عشيرته . وإذا كان تستقر الأمور في نصابها ويندمل الجرح ، إلا أن هناك حالات كان الانتقام فيها فاتحة قتال دموي دائم . تشتبك فيه القبيلة بأجمعها صغيرها وكبيرها ، كما حدث ذلك في مقتل كليب الذي أدى إلى حرب زبون ظلت الرماح فيها مشجرة زهاء أربعين عاماً بين قبيلتي بكر وتغلب ، ويقبل أقرب أقرباء القاتل الدية كفدية له وتدفع عادة جمالا وهي تعد مسكوكات الاقليم ، وإن قبولهم ذلك ليوحى إليهم دائماً أنهم فضلوا اللين (النفاق) وآثروه على الدم^(٢) ، وإن الشعور العربي الحق ليشرئب من خلال هذا البيت الذي يقول فيه الشاعر :

سأغسل عني العار بالسيف جالياً على قضاء الله ما كان جالياً^(٣)
وكانوا يعتقدون أن روح القاتل تظل شاخصة على قبره وتسمى الهامة ، أو الصدى ، وتصيح : واسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخذ لها الثأر من اعتدى على صاحبها ، ولكن الافكار الوثنية عن الانتقام كانت مرتبطة بالماضي أكثر من ارتباطها بالمستقبل ولم يكونوا يحسبون للحياة الأخرى قيمة كبرى أو لم يكونوا يعلقون عليها أية أهمية بجانب الذكريات المتأصلة عن الحب الأبوي ، والشفقة البنوية وأخوة السلاح .

ومع أن النفس تستهجن هذه الطريقة المتبعة في الانتقام والاختذ بالثأر إلا أن منبتها إيجابية في صد أولئك العابثين الذين لولا تلك الخطوة — لأطلقوا لغرائهم الجريمة العنان ، ولم يكبحوا لها جماحاً ، إذ لا يخشون إذ ذاك رادعاً أو إلأ ، ولا يصدم إرهاب ،

(١) الحاشية ٢٢١

(٢) راجع ما كتبه Ruckert في ترجمته للحاشية ج ١ ص ٦٦ وما يليها

(٣) الحاشية ٢٠

أما من وجهة نظرنا نحن فإن قيمة هذا الأمر لا تهتما من حيث هو أحد الأسس الأولية في إقامة دعائهم صرح المجتمع العربي بقدر ما تهتما من أنه يكون عنصراً من عناصر الحياة العربية والأدب العربي ، ولذلك فقد اخترت من كتاب الأغاني قصة تنعكس فيها هذه الصور بأكملها ، تلك هي قصة قيس بن الخطيم وكيف انتقم من اغتالوا أباه وجده^(١) .

والقصائد التي يرد فيها ذكر الانتقام والأخذ بالثأر للدم المهرق تكشف القناع عن كل ما هو مستحسن ومستحسن في العربي الوثني ، فنجده من ناحية يصور لنا شجاعته وعزمه واحتقاره للموت وخوفه من العار وتبجيله الموتى واحترامه إياهم وعطفه الجدتي على ذوى قريبه ومن كانوا من لحمه ودمه ، ومن ناحية أخرى نجده يصور نفسه المضطغنة ، وقسوته وغدره ، وضراوته في تعقب القتل ، وإن القصيدة التي تحسم لنا هذه الصفات كلها هي القصيدة المنسوبة إلى « تأبط شرّاً » ، وإن كان البعض يزعم أن صاحبها « خلف الأحمر » المنشئ المعروف لقطعة الشنفرى ، والمقلد البارع الباهر للشعراء القدامى

(ينع)

مسح مهبشي

(١) لم نأ أن نذكر القصة كما ذكرها الأستاذ نيكسون لطولها ، ويمكن للقارىء العرب الرجوع إليها في الأغاني ج ٢ ص ١٦٠ أ.أ. عن عادات البدو فيمكنه مراجعة ما كتبه Burckhardt بركات في كتابه : Notes on the Bedowins and Wahabys (London 1831) Vol. I, P. 160 sqq & 329 sqq.

مع التناشليات

معهد التناشليات تأسس الدكتور ماجنوس هيرشفلد في القاهرة بعمارة رفيعة رقم ٤٦ شارع المدايق تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والاورام والسرطان التناشلية والعقم عند الرجال والنساء ريميد الشباب والتخثر الميكرو يعالج بصفة خاصة سرعة الشفاء طبياً لأحدث الطرق العلمية والعبارة من ١٠-١٠٠ رسمه ٤-٦ .. مدعمة : يمكن إعطاء نصائح بالرسالة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بصدان مجيد أعلى بمعرفة الرسالة البكورية المقتضية على ١٤١ سؤالا التي يمكن الحصول عليها نظير ٥ فروع

شاعر الاسلام محمد عاكف

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٤ -

نشر محمد عاكف شعره في سبعة أجزاء صغار كلها تحمل اسم صفحات ، ولكل جزء عنوان خاص ماعدا الجزء الأول وهي :

١ - الجزء الأول وقد وضع عليه بعد العنوان العام : صفحات ، هذا الاسم « برنجي كتاب ، أي الكتاب الأول . وفي هذا الجزء أربع وثلاثون منظومة في موضوعات شتى . ويتبين فيها كلف الشاعر بالتخلل في طبقات الأمة ، ووصف المعيشة العادية ، والواقعات المألوفة يكشفها عما وراءها من عذابات ، وينطقها بما استرعى على الناس من عبر . وجسب القارىء أن يرجع إلى المنظومات : قفة وحصير ، والحانة ، وقهوة المحلة ، ليرى قدرة الشاعر على تصوير الحياة وجلالها ودقائنها في بيان يجمع يسر النثر إلى جمال الشعر .

وقد عرف قراء الرسالة من منظومات هذا الجزء اثنتين : سيني بابا ، والزامر الأعشى .

٢ - الجزء الثاني سماه الشاعر : « في كرسى السليمانية » (سليمان كرسينده) . وهو منظومة مزدوجة فيها زهاء ألف بيت يصف فيها جامع السلطان سليمان القانوني أعظم مساجد استانبول ، ويتحدث على لسان واعظ سياح اعتلى كرسى الوعظ في هذا المسجد واصفاً ما شاهده في سياحته من أحوال المسلمين ويبين أدواءهم وأدويتهم . وقد اختار لهذا الحديث السائح المعروف عبد الرشيد ابراهيم الذي يطوف في أرجاء العالم منذ ستين سنة أو أكثر ، والذي قدم مصر مرات آخرها قنومه قبل سنتين في طريقه إلى اليابان ؛ وهو اليوم نزيل طوكيو ، فعليه منا تحية وسلام .

• حاك عرافل دون تابع هذه المقالات فتمرة

٣ - والجزء الثالث أصوات الحق (حقهك سلى) وهو منظومات في معاني آيات قرآنية مثل قل اللهم مالك الملك توفى الملك من تشاء الخ . تلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . كنتم خير أمة أخرجت للناس .

٤ - والجزء الرابع في كرسى الفاتح (فاتح كرسينده) ، منظومة في نحو ثمانمائة بيت يدونها الشاعر بوصف مسجد الفاتح وصفا يذكر القارىء بالشاعر الفرنسى فكتور هيجو في رواية Notre Dame de Paris ثم تكلم على لسان واعظ في عقائد المسلمين وأعمالهم كلاما يتجلى فيه سمو الفكر ، وصفاء القلب ، والبصر بأسرار الدين ، والحزن لما أصاب المسلمين .

٥ - والخامس « خاطرات » (خاطره لى) وفيه منظومات في معاني آيات من القرآن ، وأخرى في موضوعات مختلفة ، كقصيدته في وصف آثار الأقصر التي أهداها إلى الأمير عباس حلمي باشا رحمه الله ، ومنظومة « خواطر برلين » ، وهي طويلة تنظم زهاء أربعمائة بيت . ويعرف قراء الرسالة من هذا الجزء القصيدة الخالدة « من نجد إلى المدينة » .

٦ - عاصم : قصة طويلة منظومة في نحو ألف ومائتي بيت بطلها شاب من الذين جاهدوا في الحرب الكبرى ، اسمه عاصم . وهو ابن كوسه امام تليز طاهر افندي والد الشاعر . وقد أبان فيها عن حال تركيا القديمة والحديثة ، ووصف كثيرا من الأمور الأخلاقية والاجتماعية وصفا بليغا دقيقا يتناول أشد الموضوعات استعصاء على النظم فيعرضها في أسلوب مطبوع بين لا أثر فيه للتكلف والجهد . وكان الشاعر يوصي بقراءة هذه القصيدة لما ضمنته من عبر ولما قاربت لغتها ، اللغة العامية في تركيا

٧ - الظلال (كوركه لى) هي الجزء الأخير الذي نشره الشاعر قبل وفاته بعامين ، وقد نظم بعض منظوماته في استانبول وبعضها في انقرة ومعظمها في حلوان . ومنها قصيدة في الآثار المصرية سماها « مع فرعون وجها لوجه » ، وأهداها إلى الأميرة خديجة حلمي . ومنها قصيدة نشرت ترجمتها في الرسالة بعنوان الفنان يصف فيها صديقه الشريف محي الدين أكبر الموسيقين

في حفلة تأبين الزهاوي

مضى الطائر الصداح

للأستاذ علي الجارم بك

مندوب مصر في حفلة تأبين الزهاوي ببغداد

جفا الروض مغبر الاسارير ماطره جفا الروض مغبر الاسارير ماطره
ذرى نبتة بعد البشاشة وارتمت مصوحة أثماره وأزاهره
تلفت: أين الروض، أين مكانه وأين بحاله، وأين بواكره
وأين الذي لم يطرق الأذن مثله إذا صدحت فوق الفصون مزاهره
حاتم الهاها النعيم عن البكا وأذهلها عن عابس العيش ناضره
إذا أرسلت ألحانها في خبيلة توثب زهر الروض واهتز عاطره
لها صوت داود وحسن رنينه إذا ما علت متن النسيم مزاهره
إذا بدأت أشجاك أول صوتها وان سكتت أعيانك آخره
وان هتفت في الدوح مال كاتما يسايرها في ألحانها وتسايره
تحدث فنون الموصلي وطوحت بأنفس ما ضمت عليه بناصره
أولئك أوتار الاله وصنعه إذا عزفت فليسكت العود واتره
ألت بأسرار النفوس فترجمت كما فسر الحلم المحجب عابره
يصيح اليها أضود الليل باسمها ففتر عن زهر النجوم مشافره
يود لو أن النيد ضمت شعورها إلى شعره الداجي فطالت غداثه
ويرجو لو أن الفجر عوق خطوه وطاش به نأق الطريق وجائره
وزلت بشطآن المجرة رجله فطوحه في غمرة اليم زاهره

سل الروض ان أصغت اليك رسومه متى روعت أطلاؤه وجآذره
وأين الغدير العذب طاب وروده لنى الغلة الصادى وطابت مصادره
إذا فاض بين الزهر تحسب أنه يمانى برد أذهل التجر ناضره
تأزر من أنوابه الروض واكتدى فرقت حواشيه وطالت مأزره
تدور به جم البلابل مطرقا ولم تدر أن الدهر دارت دوائره
وتصنى فلا يجتاز سمك نعمة سوى أنه يلهى بها الحزن قاهره
وتدعو فلا تلقى بجيا سوى التوى تطارح مطوى الأسى وتحاوره
وقفت به والقلب يحبس وجده فيطنى ودمع العين ينهل بادره
وما وقتى بين الرياض وقد عفت سوى حاجة يقضى بها الحق ناذره

المسلمين ومفخرة العرب في الموسيقى وهو تزيل ببغداد اليوم
وقد أهدى الشاعر الجزء الأول من الصفحات الى أحد
تلاميذه (محمد علي) ، والثاني الى صديقه فطين خوجه ، والرابع
الى صديقه الشاعر مدحت جمال ، والسادس الى صديقه فؤاد شمس ،
والآخر الى الشريف محي الدين

وقد صدر الشاعر الجزء الأول من صفحاته بخمسة أبيات
لا عنوان لها ، واقتتح الجزء الأخير بستة أبيات عنوانها خسران .
ويرى القارى في ترجمة هاتين القطعتين كيف كان فكر الشاعر
في أول شعره وآخره :

- ١ -

سلنى أيها القارى الحبيب أنبتك . سلنى ماهذه الأشعار المائلة
أمامك ؟ انها أكداس من الكلم لا براعة فيها إلا الاخلاص .
لست أعرف التصنع لأنى لست صانعا . يقال ان الشعر دمع
العين . لا علم لي بهذا ، ولكنى أرى أن كل ما أسطر هو بكاء
العجز : أنا أبكى فلا أستطيع أن أبكى ، وأشعر فلا أستطيع أن أبين .
وان الشقاء ان يحرم القلب الشاعر لسانا : اقرأ ان كنت تنشد
قلبا حساسا - اقرأ فما كتبت ككتبت الا سطرت هذا القلب

- ٢ -

وكتب على الجزء الأخير الذى نشره قبل وفاته بعامين أبياتا
نظمها في استانبول قبل قدومه الى مصر :

ما كنت لأقف معقول اللسان أقلب الطرف فيما حولى .
لم يكن لي بد أن أنوح لأوقظ الاسلام . انما أريد أن تنفجر القلوب
المرهفة الحس ، الراسخة الايمان ؛ وأما التفكير الطويل فقد هجرته
منذ أمد بعيد . انى أنوح ولكن لمن ؟ أين أهل الدار ؟ أقلب
طرفي فلا أظفر الا بأمم نائمة

لقد خنقت صرخاتى وحملت نعشها ثم مزقتها تمزيقا ودفنتها
في شعري وتركنتها

وهأنذا أسيل أنبى الذى هم بأن يعم الأودية كالسيل المنهر ،
أسيله في غير هدير كالدموع الخفية . لا أجد في هذه القبة الصماء
لآلئ أثرى فليت الخسران الذى في صفحاتى ، دون حس
ولا ركز .
عبد الوهاب عزام

أرى ما أرى إلا غباراً آثاره خميس الليلي حيناً ثار ثأره وهل بعد ليل في الحياة مؤرق كثير التظنى أبصر الصبح ساهره

مضى الطائر الصداح فالأفق موحش حزين النواحي عابس الوجه بأسره وأودى الزهاوى ، فانتهى ملعب النهى
وأطفئت الأنوار وأنقض سامره
أقام على رغم النبوغ بحفرة وسارت على رغم المنون سوائره
وغادر عرش اللوذعية ربه وخلى ندى العبقريه شاعره
دعوا ذكر إعجاز البيان وسره فقد غاب عنه طيلة الدهر ساحره
له خاطر لو صابق البرق في الدجى لجل على برق السموات خاطره
تملك حر الشعر سن يراعه فيأججا إن حرر الشعر آسره
تمنى المذارى لو تقلدن دره ورفت على أجادهن جواهره
ويزهى العيون الدعج إن سوادها شيه بما ضمت عليه مخابره
وما جاشت الصهباء إلا لأنها وقد صفقوا مشمولها لا تناظره
تمر به مرا فيسيك بعضه وتقرؤه أخرى فيسيك سائره
ترى فيه هذا الكون صرورة حاذق أحاطت بأسرار الحياة بصائره
وتلح فيه الرأى في بعد غوره كما غاص تحت الماء للدر ذاخره
وتلقى به الآذى في ثورانه إذا عقله الجبار مارت موآثره

له قلم لو لامس الطرس مرة تدانى له صعب القريض ونافره
لقد كان منظار النفوس فلم يحل بنفس هوى إلا وطرفك ناظره
يلوح بعيد الرأى خلف زجاجه وحاضر تاريخ الحياة وغابره
براه إله الخلق عزما وجرأة تهاب الرواسى حده وتحاذره
وصوره عضبا تفر لهوله ذئاب الدنيا شرداً وهو شاهره
كان عصا موسى أعيدت بكفه يصاول من يرمى بها ويغاوره

يقول جريثاً ما يريد وربما يقول الفتى ما لم ترده سرائره
وكم من فتى يقضى بنفسين عيشه مظاهره نفس ، ونفس مخابره
تراه من النساء في خلواتهم وفي الحان قد نمت عليه ستائره
لسان كما طال الجرير مسج ريام ومن خلف اللسان جرائره
إذا لم يكن في الحرب قلبك بانرا فاذا يفيد المرء في الحرب بآثره
حنانا له كيف استقرت به النوى وكيف ثوى بعد التلفت حآثره

على الجارم

شعقت إليك الطرق والقلب خافق تراوجه آلامه وتباكره
تذكر آلافا المأوا فودعوا كطيف خيال أرق الصب زائره
ونحن حياة والحياة إلى مدى ولولا المنى لم يندر الحب بأذره
وأن المهود الزهر - لو علم الفتى وفكر في غايتن - مقابره
سموت إلى بغداد والشوق نحوها يساورنى حيناً وحيناً أساوره
كلانا تأى عن أهله وعشيرته ليلقاه فيها أهله وعشائره
حبيب إلى نفسى العراق وأهله وسالفه الزاهى المجيد وحاضره
ديار بها الاسلام أرسل ضوءه فسار مسير الشمس في الأفق سائره
ومدت بها الآداب ظلالاً على الورى تساوت به آصاله - وهو أجره
تجلى بها عهد الرشيد وعزه وزاهر ملك الفاتحين وباهره
إذا شئت مجد العرب في عفوانه فهذى مغانيه ، وهذى منآثره
أطلت على الدنيا فأبصرت الهدى كمالمت في جنح ليل زواهره

تفاخر بالغازى الذى سار ذكره ودوت بأفاق البلاد مفاخره
هو الملك أمضى من شباليف عزمه وأغزر من ماء السحاب هامره
نماء بناء المجد من آل هاشم فحلت مرأيه وطابت عتاصره
أعاد إلى عهد البيان شبابه فهب فتيا ينفض الترب دائره
يرى بك به المنصور مأثور حزمه وتذكر ك المهدى فيه مآثره
ذكرنا اسمه طول الطريق فذلت مصاعب متيه وضأت دياجره

جميل ! نداه من أخ يقدر النهى وإن لم يتمتع باجتلائك ناظره
عرفتك في آثارك القرم مثلاً تنهى عن وجه الصباح بشائره
عرفت - جميلاً ، في جميل يانته يشاطرن وجدانه وأشآطره
تجاورنى في دوحة النيل روحه وروحي بأدواح العراق تجاوره
إذا اجتمع القلبان فالكون كله مكان ، وإن شقت وطالت معابره
لنا نسب في المجد يجمع بيتنا تعالت أواسيه وشدت أواسره
ألسنا حاة القول في كل محفل تنه بنا في كل أرض منآبره
صبت عليك الدمع سحاً ومدمعى عزيز ولكن أجود الدر نادره
وأرسلت فيك الشعر لوعة موجه تئن قوافيه وتبكي صدائره
عليك سلام الله نورا ورحمة وغادتك من سيب الاله موآطره

ليك نابغة العراق

للأستاذ بشاره الخورى

منسوب لبنان في حقة الثاني

قولى لشمسك لا تقبى وتكبدى فلك القلوب
بغداد يا وطن الجهاد وموضع الادب الحبيب
غناك دجلة والنرا ت تصائد الزمن العجيب
وقصت قوافيها على نغم البشائر والحروب
أعراس دارا من مقاطعها وخية سنحريب (١)
حتى إذا طلع الرشيد وماج في الأفق الرحيب
صهر القرون وصاغها ناجا لمفرقك الحبيب
بغداد يا شغف الجبال وملعب الغزل الطروب
بنت المكارم للعروة بك فلك جامعة القلوب
بيت من الاخلاق ضاقت عنه أخلاق الشعوب
وسع الديانات السماح وضم أشتات الدوب
زفرت أحمد في رسالته وآلام الصليب
بغداد ما حمل السرى منى سوى شمع مريب
جفلت له الصحراء والستفت الكتيب إلى الكتيب
وتصنت زمر الجنادب من قويعات الثغوب
يتساملون وقد رأوا قيس الملوخ في شجون
والتمتات على الشفاة مضرجات بالنسب
تبكى لها قل الصبا وبذوب فيها كل طيب
يتساملون من الفتى السعوى فى الزى الغريب
صحراء يا بنت السماء البكر والوحى الحبيب
أنا لو ذكرت ذكرت أحلامى وأنغامى وكوبى
إحدى الشموع الذائبات أمام هيكلك الرهيب
أنا دمنة الأدب الحزين رسالة الألم المذنب
من قلب لبنان الكتيب لقلب بغداد الكتيب
ليك نابغة العراق ق وحة الشرق القريب
ليك معجزة اليا ن الحر والقلم الحبيب
حجاج روحك وهى ملء الكون تفذف بالليب
تخبو الشمس وتنطق وتظل نائمة الشوب
حلم سفكت دم الشباب فدى لميمه الشبيب
حب الخلود وكم أرى بق عليه من جفن سكب
لولا لم تلد الطروس الحمر اكليل الاديب

(١) دارا أحد ملوك الفرس الفاتحين وسنحريب ملك آشور الذي فشل تحت أسوار أورشليم

آليت اقتحم الجحيم على جواد من ذنوبى (١)
نأغوص فى الأبدية الخرسام والأزل القطوب
أنلس الأشباح والآر واح من خلل الحفوب
حتى إذا انكشف الجحيم يتر بالضم الصخوب
سكنت نائرة الضلوع وكاد يصرعنى وجبى
وسألت عن «داتى» وعن شيخ المعرة ذى الربوب
أحققة عرفا لظى أم وصف مبتدع نجيب
«لجلى لى» (٢) فيه ما شاء التفنن من ضروب
صور ملونة الجناح على مخيلة خلوب
آليت اقتحم الجحيم على جواد من ذنوبى
آليت... لكنى أرعوت وقلت يا نفسى اهدنى بي
مهما سما عقل الحكيم يزل عن حجب الغيوب

يا فيلسوف العرب والأيام كالحلة النيوب
هلا ذكرت لنا العراق ومجسد غايه الذهب (٣)
فلك ترصع بالحكيم وبالأدب وبالطيب
يفتر عن مثل ابن سينا والنواصى الأريب
إرث وهبت له الصبا وسقته دمع المشيب
ونشرت أنجمه على بفسداد من كفن المغيب
شيخ القريض أبا الرصين الجزل والمرح اللوب
مازلت ألمها على لبسان طافرة الوثوب
من معصم النبع الدقيق لمعطف الفصن الرطيب
وأخو الوفا لبسان يرقل منه فى الثوب القشيب
هو والعراق الحر مهيد هوى وأيكه عندليب
بجران من وزن السماء ووردتان على قضيب
أسد العراق وما الرياح المروج طاغية الهوب
أضنى وأنفذ منك إذ نئين للأمر العصيب
قلدت أظفار الزمان ورعت داهية الخطوب
وبنت بالقلم الحليم وبالمهندسة الغضوب
ونشدت للعرش المقدى آية الفتح القريب
عرش «لغازى» المكرومات لمتهى حسب الحبيب
نسب تنقل فى العلى بين الأشعة والطيوب
عرش الملوك من السلا ح وعرشه فلذ القلوب
بشاره الخورى

(١) الماع الى قصيدة الزهاوى (ثورة فى الجحيم)

(٢) «جلى لى» هو جلى الزهاوى وقد أكثر من ذكر لى فى شعره حتى أصبحت منه كلبى العامرية من قيس (٣) الذهب المذهب.

الفنون

الفن المصري

٣ - التصوير والحفر

للدكتور أحمد موسى

يلاحظ الدارس للفن ، المحيط بأسراره بعض الاحاطة ، أن الفنان المصري عمل مصوراته ومحفوراته البارزة والمنخفضة ، مقيدة بقيود ظلت طوال أيام الحضارة المصرية كلها ، تلخصت في نظراته للأجسام ، لا بحسب مظهرها الطبيعي أمامه ؛ بل بحسب وضعها الأصم الذي ظن أنه يجب أن تظهر به في تصاويره وعلى لوحاته . وقد ظن بعض الناس أن هذا متعمد بقصد خلق روح فنية معينة ، وظن غيرهم أن هذا نوع من التشويه الفني كما أسموه ، وهذا فضلاً عن كونه محض افتراء ، فإنه بعيد عن الواقع وعن التقدير العلبي بعداً شاسعاً . فالفنان المصري لم يعتمد شيئاً معيناً وإنما كان مقيداً بقيود طبيعية ، دفعته إلى هذا الوضع وإلى هذا المنهج دفعاً لم يكن له فيه أى قصد ، بل ولم يكن ليتخلص منه بأى وسيلة . ولذلك كان إذا صور جماعة من الناس أو الحيوان أو المواد أو منها جميعاً تصويراً إنشائياً ، تراه يضعها بحيث يكون بعضها خلف بعض أو إلى جانبه ، من غير مراعاة الوضع الطبيعي لها ، الذي كانت تظهر به أمام عينيه ، وكان هذا هو الحال أيضاً عند ما أراد التصرف ببعض الشيء - مثلاً - في تصوير مائدة عليها أدوات أو مواد . فتراه يصورها قطعة قطعة ، كما لو كانت متفرقة غير مجمعة على مائدة واحدة ، ذلك لأنه لم يكن يعرف بعد أصول تصوير المجسمات ، وعلاقة الحجم والبعد بالتصوير المنظور Perspective ، وكان هذا سبباً جوهرياً في ظهور مختلف المصورات التي مثلت شئون حياته الزراعية والصناعية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها . كما لو كانت متجاورة بالرغم من أن بعضها كان يجب أن يخفى البعض الآخر بحسب وضعها وارتفاعها

نعم : شاهدنا في بعض المصورات قوة ملاحظة الفنان يجعله الشيء الموضوع خلف شيء آخر غير ظاهر ، ولكن هذا كان نادر الحصول بحيث لا يمكننا الأخذ به كقاعدة عامة لروح الفن المصري في التصوير والحفر

والجدير بالملاحظة والمعرفة ، هو أن نعلم أن نظرة الفنان لجماعة من الناس ينشأ شخصية بارزة ، دفعته حيناً إلى إظهار هذه الشخصية بمقياس أكبر من المقياس الذي تقيده بتنفيذه في مصوراته ، غير ناظر إلى موقع هذه الشخصية من حيث البعد أو القرب منه ، أو لوضعها بالنسبة لمجاورها ، فضلاً عن نظراته إلى جسم الإنسان على وجه الخصوص ، كما لو كان شيئاً ينظر إليه من وضعين مختلفين ، فتراه - كما سبق التنويه بذلك في المقال السابق - نظر إلى الرأس والبطن والساقين والقدمين من الجانب على حين نظر إلى العينين والكتفين والبطن من الأمام .

ويرى الزائر للتحف المصري أن نموذجاً صادقاً لهذه الحالة إذا نظر إلى الصورة المحفورة على الخشب ، التي تمثل الطحان واقفاً وجالساً ، (قطعة رقم ٨٨ - دولاب ب - الصالة ١ - بالدور الأرضي) ، والتي تبين بوضوح الدقة العظيمة في تصوير الوجه من الجانب

بدأ المصريون بهذه الدقة منذ عهد الأسرة الخامسة ، واستمر التقدم حتى بلغ الغاية في منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة (حوالي ١٤٥٠ ق.م -) وأعقب ذلك التدهور والانحطاط وإذا قُدِّر للقارىء المصري أن يعنى بتراث حضارته القديمة واحتمل مشقة السفر إلى الوجه القبلي بضع ساعات حتى يصل إلى الشيخ عبد القرنة (بطيبة بحرى راميسيوم) . وإلى تل العمارنة القريبة من دير مواس ، فإنه يستطيع أن يرى أروع تصوير وأدق تمثيل ، فيشاهد الحيوانات مرسومة من الجانب بمنتهى ما يمكن من الدقة ، فالتناسب بالغ منتهاه ، والحياة نابضة فيه ، حتى ليخيل إليك أنها صور فوتوغرافية لشدة صدق محاكاتها

العشرين ، فقد كلف الفنانون بتصوير المناظر الحربية ، وتسجيل انتصارات المصريين تصويراً دقيقاً ، إذ بهذا يمكن إيقاظ روح الشعب للتعاطف بحب الوطن والتفاني في الاخلاص له ، كما يسجل المواقع والمذابح الحربية التي بدى بها في عصر الأسرة الثامنة عشرة ،

أما الانشاء الكلى لفن التصوير ، فقد كان ثابتاً على مر القرون ، إلا في بعض أحوال معينة ، فترى معظم المصورات في عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠ - ٢٢٧٠ ق.م.) تمثل ممارسة الناس لأعمالهم اليومية في الحقل والبيت بشكل رائع جميل ، فضلاً عما



(ش ١) آشوريون متجهون إلى ملك مصر لتقديم ولاتهم

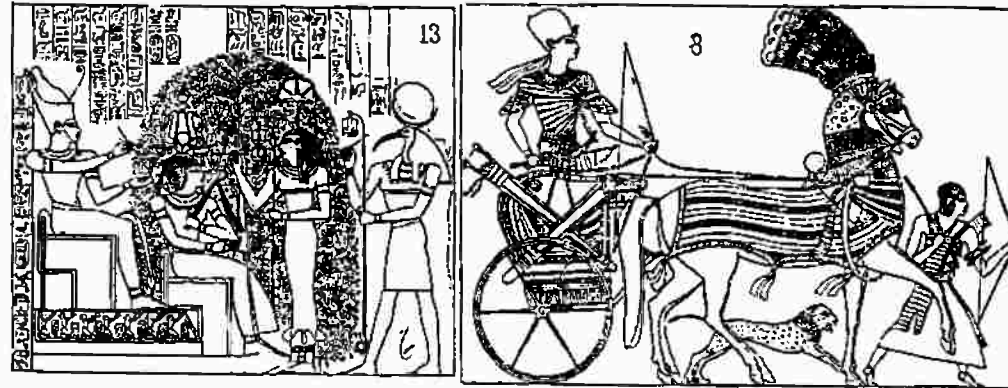
والتي لاتزال شعوب الأرض المتحضرة في أيامنا هذه ناسجة على منوالها . وفي المتحف المصري قطعة مقلدة من الأصل المحفوظ بمتحف فلورنسا ، تعد من أروع ما يستطيع الانسان أن يشاهده لمثل هذه الحالة ، تمثل عربية توتنموزيس الرابع (١٤٢٠ - ١٤١١) يجدها الزائر تحت رقم ٣٠٠٠ داخل الصندوق حرق ط بالجناح الشرق بالدرج الأعلى

وبدأ فن التصوير ينحط عند انتهاء عصر المملكة الحديثة ، فتراه قد عاد من حيث الضعف الفني إلى عهد الأسرات الأولى ، بحيث أصبح كل ما صور بعد هذا العصر ، لا يخرج عن تقليد ضعيف لما سبق تصويره

أما النحت التصويرى فكانت أزهى عصوره عند الأسرة الخامسة في المملكة القديمة ، وهذا يتفق مع عصر النحت الكامل ، وأحسن نماذجه وأروعها يمكن مشاهدتها بسقارة خصوصاً بمصطبة قى وبتاحوتب وكذلك بمعابد الملوك للبوق

يمكن استفادته من هذه المصورات في مختلف إنشائها وأزمانها لمعرفة مدى دقة ملاحظتهم وحضارتهم

وتغير الانشاء الموضوعى بتغير العصر ؛ فترى في عهد المملكة الوسطى (٢١٩٠ - ١٧٠٠ ق.م.) أن المصورات شملت مشاهدات في قصور الملوك والأمراء ، كما أظهرت لنا طرائف أوضحت كيفية دفن الموتى وما إليها ، على أن هذا الاتجاه الاجتماعي الجديد نما وازدهر على وجه الخصوص في عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق.م.) ، عندما بلغت مصر شأواً عظيماً وفتحت بلداناً مجاورة ، الأمر الذي ترتب عليه اتساع الأفق الفني أمام الفنان المصري ، وشعر الملوك والأمراء بأهمية الفن حتى لتراهم في عهد أمينوفيس الرابع (١٣٧٥ - ١٣٥٨) قد اتصل الفنانون بهم ، واستطاع الفنان تصوير الحياة الخاصة للعائلة المالكة وللحاشية ، وهذا شيء جديد في ذاته ، إذ أن اتصال مصور بالعائلة المالكة إلى هذا الحد لم يكن معروفاً طوال أيام الملوك السابقين ،



(ش ٢) إلى اليمين ، رمسيس الثانى في عربته الحربية إلى اليسار ، بعض الآلهة في حضرة الملك

على أنه يجب التنويه بأن الفن قد انحط في عهد المملكة الوسطى ، وظل كذلك حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، حيث ثرى في معابد الأقصر والدير البحرى ومقابر الشيخ عبد القرنة دلائل التقدم

لأننا لم نعد ولا ينتظر أن نعد على مصورات تويد غير ذلك أما في عصر الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق.م.) ، وكذلك في عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٧) من الأسرة

أما الاثنان وراهما، فأحدهما ينظر إليه والآخر يلاحظ الطفلين اللذين ركبا حماراً وقد قعدا داخل مخللة أشبه بحاجز يقبهما شر السقوط. وخلف الحمار ولد تعقبه أربعة نساء تركن الشعر منسدلاً إلى الكتفين، وخلفهن حمار آخر يحمل بالهدايا، ووراءه رجل

أما في عهد البطالسة (٣٣٣ وما بعدها) فقد تقهقر الفن، وأصبح التناسب ضعيفاً بين المسافات التي كانت تخصص للحفر والتصوير وبين المساحات التي تركت بدونه، كما أصبح توزيع المصورات على المساحات رديئاً، وخلت هي نفسها من كل جمال



(ش ٢) إلى اليمين، صياد السك إلى اليسار صياد الطيور

يعزف على آلة موسيقية آشورية ذات خمسة أوتار. وآخر يحمل شاباً يسراه وعصا يمينه استعداداً للطوارئ. وسار المصريون خفاة الأقدام، على حين كان الآشوريون تلبس ساؤم أحذية من الجلد، ورجلهم يحتنون نوعاً من الصنادل فضلاً عن إمكان تمييزهم بذقونهم الطويلة.

والصورة - ٢ - تشمل منظرين وجدا بأبي سنبل (القرية من الدرد) الأيمن منهما يمثل رمسيس الثاني على مركبته الحربية التي انتصر بها في حروبه الأفريقية، وهي في شكلها الكلي واضحة التفاصيل، قوية الإخراج، تسجل الناحية الجديدة في الاتجاه الفني لاثبات الانتصارات ومظاهر الآلهة والعظمة كما سبق التنويه. أنظر إلى رمسيس في مركبته الرائعة يجرها حصانان وقد اختفى أحدهما لظهور الآخر من الجانب، وتأمل كيف استطاع الفنان أن يبينه في بساطة، وذلك برسمه خطاً رفيعاً موازياً للحصان الظاهر. والمتأمل في صدر رمسيس يلاحظ الكتفين وقد ظهرا من تحت الملابس، مما يدل على أنه كان من قماش رفيع شفاف، كما يراه قابضاً على القوس وعلى جزء من لجام الحصان يده اليسرى، وعلى سهم وسكين باليمنى، أما الحصان

وانسجام، وطمخ عليها ازدحام أبعداها عن الذوق الفني. والمشاهد لترات هذا العهد يلاحظ التضخم بادياً على المنحوتات الممثلة لجسم الإنسان

ولعلنا بمشاهدة بعض المصورات التي أمكن الحصول عليها لتناسب المقال هنا، يمكننا أن نفهم جيداً المدى الذي وصل إليه المصريون في فن التصوير والنحت التصويري: فترى في الصورة - ١ - المنقولة عن حائط بمقابر بني حسن، منظرًا رائعاً لجماعة من الآشوريين (الساميين) وهم سائرون وراء اثنين من المصريين. ومتجهون جميعاً في طريقهم إلى مصر. فترى على اليمين أحد الموظفين المصريين (باللون الأحمر في الأصل) يرفع يمينه لوحة أوضحت الغرض من قدوم هؤلاء الأجانب وهو تقديم الولاء لملك مصر (سيزوستريس الثاني - الأسرة الثانية عشرة)، ويعقبه مصري آخر يسير وراه كمن يرشد الجماعة إلى خط السير؛ ثم ترى الثالث وهو يسير ممسكاً عنزاً من أحد قرنيها يده اليسرى، والرابع ممسكاً غزالاً أحاط عنقه بحبل قبض عليه يسراه، على حين قبض على القرن يمينه،



(ش ٣) إلى اليمين، عصر العنب في الوسط، حلب البقرة، إلى اليسار الرضاعة

فظهر رائعاً كامل الزينة مغطى بغطاء جميل الزخرف، وأسفل الحصان ترى أسداً سائراً مع اتجاه العربة الملكية، نقش جلده يقع أشبه بتلك التي تراها على جلد النمر، قصد به الرمز للعظمة

أحضراهما كمينه لحيوانات بلادهم؛ وبعدئذ نرى أربعة رجال يسرون في نفس الاتجاه، والآخر منهم يتجه برأسه إلى الورا كما لو كان يتحدث إلى من خلفه، يحمل كل منهم السهم والقوس

يقص حادثة سرقة ووراءه آخر انتهى من تادية شهادته . بعدئذ ترى أحد رجال الأمن قابضاً على عنق لص وعلى يده ، ثم ترى آخر وقد كبل رجلاً من يساره بالحديد ، وخلف الجميع رجل

والقوة . يقول ديودور أحد مؤرخي القرن الأول قبل المسيح إن فرعون كان يركب عربته حافي القدمين ، ولذلك ترى على الكتف اليسرى لخادمه السائر أمام الحصانين وعلى يسارهما



(ش ٥) إلى اليمين عاكة النصوص إلى اليسار تنفيذ العقوبة

يجر الماعز المسروقة لاثبات الحادث وإلى يساره صورة تبين كيفية توقيع العقوبة بالجلد ، وذلك بطرح المجرم أرضاً ، وضربه على الظهر بعصا ، وإذا نظرت إلى أقصى اليسار ترى رجلاً ممسكاً بقدمي الجاني ، أما يده فقد أمسكها رجلاًن قعدا عند رأسه

والصورة - ٦ - وجدت بيني حسن ، وهي أيضاً طريقة الموضوع ، هم المؤرخ الفتي ، فهي توضح في جلاء الطريقة التي اتبعها الفنانون في التصوير ، فترى الفنان وقد جلس متوسطاً الصورة ممسكاً ريشته يمينه ، وكأس الألوان يسراه ، مستمراً في تكميل تصويره لعجل صغير بعد أن أتم تصوير البقرة . وأمامه جلس مساعده ممسكاً لوحة التصوير

ووراء هؤلاء تشاهد فناناً آخر يلون تماثلاً من الخشب أو الحجر ، كما كانت عادة المصريين دائماً ، وكما سبق التنويه بذلك المثال في الفات

ومن هذه الصور الست ، التي لا تعد شيئاً بجانب المئات التي تركها المصريون على حوائط معابدهم ومقابرهم ، يمكننا أن نستخلص أن الفن لا يكون إلا حيث توجد الحضارة . وأن مصر عرفت قيمته وعملت على ترقينه في القرن العشرين قبل الميلاد ، ولكنها مع مزيد الأسف لا تعرفه ، ولا تعترف بوجوده ، ولا تفهم حتى مدى نفعه أو ضرورته في القرن العشرين بعده ؛ ولا أبلغ بما قاله شاعرنا أحمد الزين تسجيلاً لهذه الحالة :

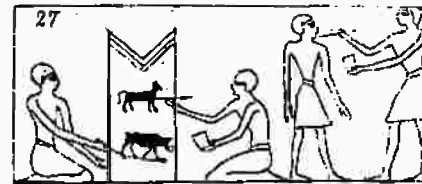
علام يجيد الفن في مصر متفنن إذا كان بالتهريج نيل المراتب
فيا جهل واصلنا ويا علم فابتعد ويا حق لازمنا ويا عقل جانب
أرى الجبل نوراً في بلاد رجالها خفافيش يعيشها ضياء الكواكب
إذا الشعب بالا همال أرسب عالها فلا يحب لو يعلوه كل راسب

أحمد موسى

كيساً خصص لوضع خذائه داخله حتى يستطيع بذلك لبس الخذاء بمجرد مغادرته العربة .

والمنظر الأيسر مأخوذ عن نظيره بمعبد سيتي الأول (مينونيوم) بأبي دوس (بالقرب من البلينا) يبين رمسيس الثاني (تولى الملك بعد سيتي الأول وأكمل بناء معبدته) جالسا على العرش في ظل شجرة ، وإلى اليمين ترى إله الكتابة والتحرير يسجل اسم رمسيس بقلبه على ثمار الشجرة ، والآله توت كاتب السماء ، وإلهة الليل آتمواتي تسجل حظ الفرعون من الخير والمنعة والصورة - ٣ - توضح الكيفية التي تم بها صيد الطيور (وجدت بطيئة) . فترى إلى أقصى اليسار رجلاً ثلاثة ، يجذبون حبلاً ربط إلى مجموعة من الشباك ، أحاطت بالطيور المصادة بها . أنظر إلى السائقين الأوليين على يمين وعلى يسار شجرة اللوتس ترى على زهرة الأولى منهما طيوراً صغيرة وعلى الأخرى أيضاً . وأما بقية التفاصيل فهي متروكة لدقة ملاحظة القارئ

والصورة - ٤ - هي لثلاث لوحات ، أولاهما إلى اليمين تبين كيفية عصر العنب للحصول على النبيذ - والوسطى لطريقة حلب البقرة ، فترى القائم لعملية الحلب ومساعدته الذي يحرص على منعها من التحرك - أما اليسرى فهي تريك منظر أحملا ، استطاع الفنان أن يخرج إخراجاً قوياً . أنظر إلى البقرة تثني عنقها لمداية ابتها العجلة الصغيرة يشار بها في الرضاعة ولد صغير



(ش ٦) المصورون

والصورة - ٥ - ذات موضوع خلاف بهم المشتغلين بتاريخ القضاء ، فهي تمثل قاضياً جلس إلى منصة الحكم ، وأمامه رجل

البريد الأدبي

العبر المثوى لوزارة المعارف

تحتفل وزارة المعارف العمومية في التاسع والعشرين من مارس الجاري بمرور مائة عام على إنشائها، وستنظم بهذه المناسبة حفلات رياضية وتمثيلية، ويقام معرض للتعليم والترية تستعرض فيه مراحل التعليم وتطوراته في مصر مدى قرن، ويوضع كتاب ذهبي يتضمن تاريخ الترية والتعليم في هذا القرن إلى غير ذلك مما ترى وزارة المعارف أن تتخذه للاحتفاء بعيدها المثوى. والواقع أن المناسبات والاحتفالات المثوى في تاريخ مصر الحديث قليلة، ومن الواجب أن يعنى بشأنها وأن يحتفى بها كلما سنحت، تجديدًا للذكريات القومية، وشجلاً للهمم، وتوطيداً لبناء المستقبل.

وقد مضت مائة عام كاملة منذ أنشئ «ديوان المدارس» في سنة ١٨٣٧، أنشأه مصلح مصر الكبير محمد علي، بعد أن أنشأ من قبله عدة من المدارس العالية والخصوصية، وأوفد عدة بعوث علمية إلى أوروبا، وبدأت ثمار هذه السياسة المستنيرة تتفتح، ويتسع نطاق التعليم والترية. وكان ثمة قبل إنشاء ديوان المدارس هيئة تشرف على التعليم تسمى بمجلس شورى المدارس، فزوى أن ينظم مكانه «ديوان المدارس» الذي أصبح فيما بعد وزارة المعارف، واشترك في تنظيم الديوان المذكور عدة من رجال مصر المثقفين الذين تلقوا العلم في أوروبا، وانتخب لرأسته مصطفى مختار بك أحد خريجي البعثات فكان أول رئيس أو وزير لديوان المعارف المصرية؛ وشكل للاشراف على أعمال الديوان مجلس مؤلف من عدة من النوابغ الذين يرجع إلى رأيهم في شؤون الترية مثل رفاعة بك الطبطبائى، وكاوت بك وغيرهما؛ وقام المجلس المذكور بوضع لائحة لنظم التعليم، وقرر إقامة عدد كبير من المدارس في مختلف أنحاء القطر، منها عشرات من المدارس الابتدائية الاميرية، في معظم المراكز ومئات

المدارس الأولية أو الكتاتيب، وبذا وضعت أسس النهضة التعليمية في مصر الحديثة

وعما يؤثر بالفخر أن التعليم كان يومئذ في جميع المدارس على اختلاف درجاتها وأنواعها مجانياً، وكانت الحكومة تتولى الانفاق على التلاميذ، وتعنى باطعامهم وكسوتهم، وتجري عليهم بعض الرواتب المالية، وكان عدد تلاميذ المدارس الاميرية يومئذ يبلغ نحو العشرة آلاف

وتقلب في ديوان المعارف عدة من رجالات مصر الأفاضل مثل على باشا مبارك، تولى سنة ١٨٨٨، وبذل في تنظيم التعليم جهداً عظيماً، ولا تزال آثار هذا الغرس زاهرة إلى يومنا

ووقعت وزارة المعارف مدى حين تحت سيطرة الاحتلال، وأخذت روحها الإصلاحية أيام دائلوب ومعاونيه؛ ولكنها بدأت تنفخ في عهد الاستقلال؛ ولكنها والأسفاه مازالت مضطربة الأوضاع والنظم، ولم توفق إلى أن ترسم لها حتى اليوم سياسة ثابتة للتعليم

الصور الهزلية في الفن المصري القديم

أصبحت الصور الهزلية من أبرز نواحي الفن المعاصر، تتخذ أداة للتعبير اللاذع عن وقائع الحياة العامة، وأحوال الأشخاص وتصرفاتهم، وأضحت سلوة الألوف من القراء تثير ابتسامهم ومرحهم. وقد عرف المصريون القدماء فن الصور الهزلية، وألقوا فيه متنفساً للنقد اللاذع والسخرية العميقة. وتوجد لدينا نقوش وصور هزلية تدل على مبلغ ما انتهى إليه الفراعنة من الاقتان في هذا الباب، فثلاً توجد نقوش على البردى ترجع إلى ألقى عام قبل الميلاد، سطرت بها قصص عجيبة كقصص ألف ليلة وليلة من مناظر سحرية وشياطين وحوانات تلعب أدواراً مدهشة، وتوجد صور هزلية مسلية في كثير من أوراق البردى المحفوظة في تورينو ولندن، ويبدو فيها شغف المصريين

والحزب (حزب النازى) يندمج فى الدولة ، وهو مجمع الشعب ، ولا يقوم نظامه حسب قول هتلر الأعلى ، السلطة والنظام والمسئولية والخضوع ، ؛ ومن أدلة هذا الاندماج أن نفس الرجال يديرون الحكومة والحزب معا ، ورجال الحزب هم الذين يستولون على الوظائف ، وشعار الاثنين واحد هو : هایل هتلر ، . يد أن الحزب لم ينجح فى كسب الجيش ، ولكن الجيش فى يد الزعيم ، وقد قضت الاشتراكية الوطنية على نظام المانيا الاتحادى واستأثرت الحكومة المركزية بكل السلطات ، أما النظام النقابى ، فيقوم على حشد العمال فى جبهة الاشتراكية الوطنية ، وتنظم جميع المهن والحرف فى طوائف تحشد فى نفس الجبهة . تحدثت المؤلفة بعد ذلك عن الخلاف بين الكنيسة والدولة وعن النظرية الآرية ومراميتها الحقيقية ، وعن سياسة الاضطهاد الدينى والجنسى التى تضطرم بها الآن ألمانيا الهتلرية . هذا والطفانيان الهتلري لا يقوم إلا على الارهاب والعنف ، والقضاء خاضع لخدمة الدولة ، والتشريع الجنائى ليس إلا أداة للكفاح لا تعرف الرأفة أو العدالة ، وتقضى محاكم الشعب دون تحقيق ، وتسير فى قضائها تحقيقاً لأهواء الحزب والزعيم . والخلاصة أن القضاء والبوليس والجيش والهيئات الحزبية تعمل كلها لسحق أعداء النظام وخصومه . ومع أن كل الحريات قد سحقت ، فإنه توجد معارضة كامنة . والدولة النازية هى أتم وأوفى أداة للطفانيان فى عصرنا ؛ يد أنها بوسائلها العنيفة فى الكفاح والقمع تنافى كل المبادئ والاعتبارات الاخلاقية والانسانية

هذه هى الصورة التى تقدمها البنا المؤلفة عن النظام الهتلري ، وهى تقدمها البنا فى عرض بديع حقاً مدعم بالأدلة والوثائق والاحصاءات . ويرى النقدة أن كتابها هو أقوى وأوضح بحث من نوعه ظهر حتى اليوم

مرب نيكوبوليس الصليبية

لعل أكبر الحوادث فى تاريخ الشرق والغرب هو تلك الحروب التى اصطلح المؤرخون على تسميتها بالصليبية ودامت عدة قرون ، تجلى فيها كثير من ضروب الفروسية والشجاعة بما يرى فيها القاصصون مادة خصبة لهم . وقد كلنت هذه الحروب ولا زالت ميداناً لكبار البحاث المؤرخين ، ولكنها

هذا النوع من تصوير الحياة العامة ؛ فالأمراء والوزراء وأكابر الزعماء يمثلون فى صور حيوانات مختلفة ترمز إلى معان هزلية . مثال ذلك صورة رسمت بها قطة تسير مضمومة الذراعين إلى جانب ثور مبجل (يمثل كبير البلاط) ، وهما يسيران معا للشول فى حضرة خصى قد صور فى صورة حمار ؛ أو صورة لفرقة الموسيقى الملكية مؤلفة من تمساح يبكى تأثراً ، وحمار يعزف على القيثارة ، وأسد يعزف على العود ؛ أو أسد (يمثل فرعون) وحمار (يمثل وزيره) يلعبان الشطرنج معا ؛ وهكذا . وكان للفنانين المصريين شغف بتمثيل مناظر الحياة العامة فى صور مضحكة لاذعة ، فمن ذلك صورة ذئب يقود الغنم ، وهرة تحرس الطير ، وكلاهما رمز لفساد الحياة العامة ؛ وهذه الصورة التى ترجع إلى بضعة آلاف من السنين تدل على مبلغ ما وصل إليه فن التصوير الهزلى لدى الفراعنة فى القوة والروعة ، وعلى أن الفراعنة كانوا أيضاً فى هذا الميدان أول الأساتذة والمبتكرين

كتاب هرير عن الاشتراكية الوطنية

ما زالت الاشتراكية الوطنية أو النظم التى تعيش فى ظلها ألمانيا الحاضرة مثار كثير من الجدل ، وقد ظهرت الى اليوم عنها تصانيف كثيرة بين الخصومة والتأييد ، ولكن روحها وغاياتها الحقيقية ما زالت موضع الغموض والجدس

وقد ظهر أخيراً بالفرنسية كتاب جامع عن الاشتراكية الوطنية ربما كان أقوى وأوفى مؤلف ظهر من نوعه ؛ وعنوانه : « طفانيان الفاشستية الألمانية » بقلم الآنسة جريته شتوفل La Dictature du Fascisme allemand ، ويمتاز الكتاب ، بالوضوح والترتيب ، وينم عن دراسة عميقة وفهم شامل للنظم التى تعيش فى ظلها ألمانيا الحاضرة . وقد استهلكه المؤلف بمقدمة تاريخية ، ثم تناولت سلطات الدولة الأساسية بالتعيين والشرح ، فى شخص « الزعيم » (هتلر) تجتمع كل السلطات ، فهو رئيس الدولة ورئيس الحكومة ، وهو المتصرف المطلق فى جميع نواحيها الادارية والقضائية والعسكرية ، وهو المشرع الأعلى ؛ وهو يفوض سلطاته الى وزراء ، ليسوا إزاه سوى موظفين أصاغر ، وأما الريخستاج (البرلمان) فهو اسم على غير مسمى ، فهو لا حق له أن يقترح أو يعارض ، وليس عليه إلا أن يوافق ويؤيد ،

المعاصرة لها بل والنادرة أحياناً... وإنا لننتظر منه الكتاب
الشامل الأكبر في المستقبل، كما امتدحته مجلة «بلغاري» ومجلة
الدراسات الشرقية الألمانية (Orientalische Literaturzeitung)
فقال: «إن هذا الكتاب أوفى ما كتب عن هذه الناحية، وإن
مؤلفه ليعد حجة في هذا الموضوع» ومع أهمية هذا الكتاب،
وتقدير أقطاب التاريخ له ومصرية مؤلفه فإنه لم يترجم بعد.

تمثال شيخ البلد

قرأت بعدد الرسالة الأخير مقال الدكتور الفاضل أحمد
موسى في الفن المصرى القديم فاستوقفتنى تلك العبارة من كلامه
عن تمثال (شيخ البلد) المعروف بالمتحف المصرى:

(وتمثال شيخ البلد تجده واقفاً فى شىء من اليقظة وضخامة
الجسم التى يجب أن تتوفر فىمن يقوم بالشيخاخة الخ)

وقفت متسائلاً: هل عرف النظام الإدارى القديم شيخ البلد
كما تعرفه مصر الآن من أقصاها إلى أقصاها؟ وبالتالى هل عرفت
هوية صاحب هذا التمثال وعرف عمله فى الدولة؟ أم أن الحقيقة
هى ما قرأناه فى كتب التاريخ من أن عمال الحفر لما أخرجوا
هذا التمثال من مكانه راعهم ما وجدوا من شبه قوى بينه وبين
شيخ بلدهم فأطلقوا على التمثال (شيخ البلد) ثم لزمته التسمية
ولم يغيرها علماء الآثار لما لم يعرفوا حقيقة صاحبه ولم يجدوا به
من النقوش أو الكتابات ما يوضح بصره وينم عن جليلة أمره؟
وهل للدكتور الفاضل أن يميز اللثام عن حقيقة التمثال
المذكور خدمة للعلم والتاريخ فنسكون له من الشاكرين؟

(م. ح. بأسيوط)

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المرضى

مرضت بالبول السكرى والتجأت إلى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة
مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقني الله تعالى إلى بعض أنواع
بذور النباتات لم أجدها إلا بمصر عطارة محمد طاهر الضاوى بوكالة
أبو زبير الحمزاوى بمصر تميفون ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى ثمن سوى
بلغ عشرة قروش صاغ . ولست عمالاً بأربعة أسابيع كانت النتيجة
مذهبة جداً... فتمظهرت نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن

كان بنسبة ٥٥ فى الألف .

لذلك أخذت على نفسى عهداً أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن
الحمل المذكور لا يضر عن إرساله لكل مريض خربة لدراساتى
نرسل إليه فى أقرب وقت ممكن المحرر
أحمد كـ ٢٠

مع ذلك لا تزال بحاجة للدرس والتفحص . ومن الوقائع
الشهيرة فى تاريخ العالم الاسلامى موقعة «نيكوبوليس» التى
وصل فيها الأتراك إلى قلب أوروبا، وأصبحوا على أبواب
المجر، وهى مع ما لها من أهمية قصوى لم يؤلف فيها أحد
المتخصصين فى تاريخ العصور الوسطى كتاباً قائماً بذاته، حتى
قام بذلك أحد نوابغ الشبان المصريين الذى اختارته جامعات
لندن وليفربول بإنجلترا، وبون بألمانيا أستاذاً بها، ذلك هو
الدكتور عزيز سوريال عطية، فقد أفرد لها كتاباً خاصاً ألم
فيه بمهام هذه الحرب . ويذهب المؤلف إلى أن الحروب
الصليبية لم يكن بدء قيامها أو ختامها ما تألفنا عليه، بل هناك
عدة حروب قبلها وبعدها كان الدافع لأوروبا فيها على امتشاق
الحمام عصيتها الدينية ضد الاسلام . ولقد أصدرت إحدى
دور النشر الكبرى بإنجلترا Methuen هذا الكتاب القيم
Crusade of Nicopolis للدكتور سوريال . وبلغ من أهميته
أن قرظه أعلام التاريخ فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا والمجر وأثنا
على صاحبه الثناء الجم، فقلت جريدة التيمس فى ملحقها الأدبى:
«إن هذا الكتاب دراسة رائعة عن الظروف السياسية والمالية
فى نهاية عصر الفروسية فى أوروبا، وختمت الديلى پوست
تقريرها له بقولها: «إن مثل هذا الكتاب يكتبه أحد أبناء مصر
لشئ يفخر به جميع المصريين... إن نهضة مصر فى طريقها»
وقالت مجلة معهد الدراسات الشرقية بلندن: «إن هذه الاضافة
العظيمة الرائعة للتاريخ هى من غير شك نتيجة بحث عميق وميل
قوى للموضوع... وإنه لينبغى لكل مؤرخ أو باحث لهذه
الفترة أن تكون لديه نسخة منه»

وقالت جريدة الجارديان: «... تقرير شامل يعتمد على
المقارنة الدقيقة لمراجع كثيرة، ووصفه الأستاذ ولیم ميللر فى
مجلة التاريخ الانجليزية بأنه «كتاب دسم» كما أثني على مؤلفه
وموضوعه كثير من المجلات الأخرى كجريدة الحرية، والجيش
والجريدة الآسيوية . وقالت مجلة الثقافة الاسلامية الانجليزية بالهند:
«إن تعمق الدكتور عطية فى هذا الكتاب لا يوفيه المديح حق»
وإن التعاليق التى كتبها وإضافاته لمى بحث جديد يضاف إلى
دراسه النقدية لهذه الفترة، وقالت مجلة J. R. I. S. «إن الدكتور
عطية لم بكل نواحى الحروب الصليبية، وكتابه قائم على المصادر



ملحمة عبقر

للشاعر المطبوع شفيق معلوف

رمى الكثيرون الشعر العربي بالعجز والقصور عن متابعة الشعر
الغربي في القصة والملحمة والرواية التمثيلية ؛ ولكن ناظم عبقر ضرب
لهؤلاء المثل الحي على أن العيب واقع على عائق الشعراء أنفسهم
لا على اللغة ولا الشعر . ولقد ظلت عبقر مدى العصور تتردد في ألفاظ
كثير من الشعراء ولكن لم يفكر واحد منهم في أن يخرج لقراء الضاد
قصيدة عنها بقدر ما توحى إليه من خيال ؛ كأنها أبت لأن تكشف
سترها وتبطل اللثام عن حقيقتها إلا لهذا الشاعر المحلق في سماء الجلال،
لحمه شيطانه إلى عبقر ، وأوديتها السجيرة ؛ وهناك كشف له سر
الحياة ، فرقف على المجهول من أمرها ، حتى إذا عاد إلى دنياه صورته
بلغة أهل الأرض ؛ فأبدع في ذلك ما شاء له الإبداع ، ورسم هذه
العوالم الدفافة بالسحر والخيال وقربها إلى قارئها فإذا هم يعيشون
ويتحركون ويتنفسون فيها ، وإذا هم يحبون في مهابط الجن ، ويقضون مع
حورها لحظات لا يحسون فيها لغب الواقع ، ولا تعب الحياة وأرضارها ،
ولست أدري أيهما خلد الآخر : هل خلق شفيق عبقر ، أم هي التي خلقته ؟
حله شيطانه إلى عبقر ذلك الشيطان الذي :

في فمه من سقر جذوة يطير منها الشرر الناز
ووجهه جمجمة راعه أنيابها والمحجر الغائر
كأنما يحجرها صكوة يطل منها الزمن الغابر
ويمضي الشيطان بصاحبه إلى عبقر ليبريه وجنا من النور جلايبها ،
وإذا يبط الأثنان عبقر ، يرى الشاعر ، الغمام الزرق ، وفي أبراج
المازل ، تتورضجة بها يضيق الأفق الأوسع ، ثم يحيط به الشيطان
عند عرافة عبقر فإذا بها عجوز شطاه طواها الكبير ، ولقد أبدع
الشاعر أيما إبداع في وصفها بقوله :

تلف ثعبانا على وسطها يكن في نايه كيد القدر
بجامر الصندل من حولها تألب الجن عليها زمر
ينبعث الدخان من شعرها ويلتظي في مقلتها الشرر
كأنما الله لدى بعثها زودها بكل ما في سقر
وفي حديث العرافة له نرى الوصف المرألي للإنسان ، وما انطوت
عليه نفسه من مكر وخديعة ، ونرى روح التكم تنبعث على لسان

العرافة ساخرة بكبرياء ابن آدم وقد خال ، نفسه أعلى من ربه ،
وحسب عليه فضلا ، وأية سخرية أشد وقعا بما انطلق به لسانها من أنها :

تخشى على الثعبان من شره
في نابه السم كان وصار في صدره

وينطلق به شيطانه إلى امرأة قد كورت من حلقات النور أضلاعها
تلك هي « الشهوة » وإن وصفه الرائع لها ، ليجعل القارئ يخال
الشهوة قد جسمت امرأة وهي أضحج :

من لي بحب نوره ينبلع من شرر محتدم في المقل
من لي بشعر لاهب تنفرج ثغراته عن شعلات القبل
يا حامل الجسم ألا أعطيه وخذ إذا شئت خلودي ثمن
وشاحي الناري من يشتره فإنني أبيعك بالكفن .

ويمضي به الشيطان إلى الكاهن سطيج الذي يرى أن الله خلصه
برحمته حين استل منه العظام ، وملا الفراغ من حكته ، أما الكاهن
شق قفائعه بنفسه ، وما ضره أن حياه الله يده واحدة إذ :

هل تنفع البدان والواحدة تهدم ما تشيده الثانية
ويخلص القارئ من مغزى هذه الحكمة أن في النقص كمالا ،
ولكن الشاعر يهوى به الأسلوب في قوله « والله يهديني سواء السبيل »
فهو نايه في موضعها لا تلائم الذوق الشعري ، وإنك لتلح رثاه
للغايا وألمه لمن خلال وصفه الشرير الجميل لمن فهن :

دس من الحديد محمره ورحن يقحم البراكينا
يلفن في الجر ويغبنه غبا ويرشقن الشياطينا
زج بين الله في عبقر يلو بين العبقرينا
وينتهي بالشاعر المطاف عند رفات العبقرين من الشعراء
والأدياء ، وفي تشيد جماجم هؤلاء العاقرة تلح تقديس الشاعر لهم ،
فهؤلاء أرواحهم تنبى قباب الخلود ، بغير أحجار الوري ، وهم في
موتهم يعيشون على . . الحب الذي :

— إن كانت الأرض جحيمه وكان فيها تنأ الأرض
هذه جولة في عبقر المعلوف ، فإذا كان فوزي قد حلق على « بساط
الريح » فإن أخاه في عبقر قد تغلغل في ثباها مع حورها وكهناها
وعرافتها وشياطينها

وإن خيال شفيق لمنسجم مع تفكيره ، وهذا سر إبداعه ، فلا جرم
إذا خلق خياله من شائق ولم يسف في شعره . ولا عجب إذا طالعنا
ذلك الشاعر بنفحات من الشعر الخالد لفظ منسق ، وجمال مطبوع ،
وبيان عذب فصيح ، وخيال لوقيل له اختر صاحب لما اختار غير شفيق .

حسن حبشي